الخــال فانيــا

مشاهد من الحياة الريفية

فى أربعة فصول

شخصيات المسرحية

سيريبرياكوف ألكسندر فلاديميروفتش	أستاذ متقاعد
يلينا أندرييفنا	زوجته ٢٧ سنة
صوفيا ألكسندروفنا (سونيا)	ابنته من زوجته الأولى
فوينيتسكايا ماريا فاسيليفنا	أرملة مستشار سرى. أم زوجة الأستاذ الأولى
فـوينيتســكى إيفان بتروفيتش	ابنها
أستروف ميخائيل لفوفيتش	طبيب
تيليجين إيليا إيليتش	إقطاعى مفلس
مارينا	مربية عجوز
عامل	

تدور الأحداث فى ضيعة سيريبرياكوف

الفصل الأول

بستان. يرى جزء من المنزل بشرفة. تحت شجرة عتيقة فى ممر وضعت طاولة عليها آنية الشاى. أرائك، مقاعد. على إحدى الأرائك جيتار. وغير بعيد عن الطاولة أرجوحة. الساعة تدور فى الثالثة بعد الظهر. الجو غائم. مارينا (عجوز رخوة، قليلة الحركة، تجلس بجوار السماور وتحيك جوربا) وأستروف (يذرع المكان بجوارها)

مـــاريـــنـــا: **(تصب الشاى فى كوب)** تفضل يا بنى.

أســـــتروف: **(يتناول الكوب بلا رغبة)** لا أشعر برغبة.

مـــاريـــنـــا: هل تريد بعض الفودكا؟

أســـــتروف: كلا. أنا لا أشرب الفودكا كل يوم. ثم إن الجو خانق. **(صمت)**

يا دادة، كم سنة مضت على تعارفنا؟

مـــاريـــنـــا: **(متفكرة)** كم سنة؟ فليهبنى الله الذاكرة.. أنت وصلت إلى هنا، إلى هذه الناحية.. متى؟ كانت فيرا بتروفنا، أم سونيا، ما تزال على قيد الحياة. أنت جئت إلينا شتاءين

وهى بعد حية..إذن مرت حوالى إحدى عشرة سنة. **(بعد تفكير قصير)** وربما أكثر..

أســــــتروف: هل تغير كثيرا من ذلك الحين؟

مــــاريـــنـــا: كثيرًا. كنت آنذاك شابا، جميلا، أما الآن فهرمت. ولم تعد جميلا كما كنت. والفودكا أيضا لا تتجنبها.

أســــــتروف: نعم.. خلال عشر سنوات أصبحت شخصا آخر. وما هو السبب؟ كثرة العمل يا دادة. من الصباح إلى المساء على قدمى، لا أعرف للراحة طعما، وفى الليل أرقد تحت البطانية وأخشى أن يستدعونى لعيادة مريض. طوال هذه الفترة التى مضت على تعارفنا لم يكن عندى يوم فراغ واحد. فكيف لا أهرم؟ ثم إن الحياة بحد ذاتها مملة، حمقاء، قذرة.. تشدك كالمستنقع! لا ترى حولك سوى أناس غريبى الأطوار، فقط غريبى الأطوار. وعندما تعيش بينهم عامين أوثلاثة تصبح أنت نفسك، شيئا فشيئا، ودون أن تلاحظ، غريب الأطوار. قدر محتوم. **(يفتل شاربيه الطويلين)** انظرى هذه الشوارب الضخمة التى ربيتها.. شوارب حمقاء. أصبحت غريب الأطوار يا دادة.. بخصوص الغباء، لم أصبح غبيا بعد والحمد لله، ظل عقلى فى مكانه، لكن الأحاسيس تبلدت بصورة ما. لا أريد شيئا، لا أحتاج إلى شىء، لا أحب أحدا.. اللهم إلا أنت فقط. **(يقبل رأسها)** فى طفولتى كان لدى دادة مثلك.

مـــاريـــنـــا: لعلك تريد أن تأكل؟

أســـــتروف: كلا: فى الصيام الكبير سافرت فى الأسبوع الثالث إلى قرية ماليتسكويه لمكافحة الوباء.. وباء التيفوس.. بيوت الفلاحين مكدسة بالبشر..قذارة، عفونة، دخان، والعجول على الأرض، مع المرضى.. والخنازير أيضا.. عملت طوال النهار، لم أجلس لحظة، لم أذق حتى قطرة ماء، وحينما عدت إلى البيت لم يدعونى أرتاح، جاءوا من السكة الحديدية بعامل التحويلة. وضعته على الطاولة لأجرى له عملية جراحية، فإذا به يموت تحت البنج. وهنا، وحيث لا داعى، استيقظت أحاسيسى، فشعرت بوخز ضمير كأنما قتلته عن عمد.. جلست، وأغمضت عينىّ، هكذا، ورحت أفكر ترى هل سيذكرنا بكلمة طيبة أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتى عام، والذين نشق لهم الآن الطريق؟ لن يذكروا يا دادة!

مـــاريـــنـــا: إذا لم يذكر الناس فالله يذكر.

أســـــتروف: لك الشكر. أحسنت القول.

(يدخل فوينيتسكى)

فـو ينيتســكى : **(يخرج من البيت. شبع نوما بعد الإفطار ويبدو مظهره غير مهندم. يجلس على الأريكة. يصلح رابطة عنقه الأنيقة)**. نعم..

(صمت)

نعم..

أســــــتروف: شبعت نوما؟

فـو ينيتســكى: نعم.. جدا. **(يتثاءب)** منذ أن بدأ الأستاذ يعيش هنا مع قرينته اختل نظام الحياة.. أنام فى غير الأوان، وفى الإفطار والغداء أتناول شتى أنواع الصلصات وأشرب الخمر.. كل هذا مضر!.. من قبل لم تكن عندى دقيقة فراغ، كنت أعمل أنا وسونيا كالفَعَلة، والآن فسونيا هى التى تعمل، أما أنا فأنام وآكل وأشرب..شىء مخجل!

مـــاريـــنـــا: **(تهز رأسها)** يا لها من أحوال! الأستاذ ينهض فى الساعة الثانية عشرة، والسماور يغلى منذ الصباح فى انتظاره. قبل أن يأتوا كنا نتغدى دائما فى الواحدة، مثل كل الناس، أما الآن ففى السابعة. وفى الليل يقرأ الأستاذ ويكتب، وفجأة يدق الجرس فى الساعة الثانية.. ماذا هناك يا ربى؟ يريد شايا! فلتوقظ من أجله الناس، ولتشعل السماور.. يا لهامن أحوال!

أســــــتروف: وهل سيبقون هنا طويلا؟

فـو ينيتســكى: **(يصفر)** مائة سنة. قرر الأستاذ أن يستقر هنا.

مـــاريـــنـــا: والآن نفس الأمر. السماور يغلى منذ ساعتين، أما هم فذهبوا ليتنزهوا.

فـو ينيتســكى: قادمون.. قادمون.. اطمئنى.

(تسمع أصوات. من عمق البستان يقبل سيريبرياكوف ويلينا أندرييفنا وسونيا وتيليجين).

سيريبرياكوف: رائع رائع.. مناظر خلابة.

تيليجين: بديعة يا صاحب المعالى.

سونيا: سنذهب غدا إلى الغابة يا بابا. هل تأتى؟

فوينيتسكى: يا سادة، تفضلوا الشاى!

سيريبرياكوف: أرجوكم يا أصدقاء ابعثوا بالشاى إلى مكتبى لو سمحتم، علىَّ اليوم أن أنجز بعض الأشياء.

سونيا: الغابة ستعجبك حقا..

(تدخل يلينا أندرييفنا وسيريبرياكوف وسونيا البيت. يتجه تيلجين إلى المائدة ويجلس بجوار مارينا).

فوينيتسكى: الجو حار، خانق، وعالمنا العظيم يرتدى المعطف والخف والقفازات ويحمل المظلة.

أستروف: إذن فهو يراعى نفسه.

فوينيتسكى: ما أجملها! ما أجملها! لم أر فى حياتى امرأة أجمل منها.

تيليجين: يا مارينا تيموفييفنا، سواء كنت أمر بالعربة فى الحقل، أم أتنزه فى البستان الظليل، أم أنظر إلى هذه المائدة، فإننى أشعر بمتعة لا تفسير لها! الجو ساحر، والطيور تصدح، وكلنا نعيش فى سلام ووئام، فما الذى نبغيه أكثر؟ **(يتناول منها الكوب)** تقبلى خالص شكرى!

فوينيتسكى: **(حالما)** عيناها.. امرأة ساحرة!

أســــــتروف: احك لنا شيئا يا إيفان بتروفتش.

فـو ينيتســكى : (بتراخ) ماذا تريد أن تسمع؟

أســــــتروف: أليس لديك جديد؟

فـو ينيتســكى : كلا. كل شىء قديم. أنا مثلما كنت، بل وأصبحت أسوأ، فقد تكاسلت، ولا أفعل شيئا، فقط أتذمر كالعجوز المزعج. وعصفورتى العجوز، maman، مازالت تتحدث عن تحرير المرأة. تنظر بإحدى عينيها إلى القبر، وبالأخرى تبحث فى كتبها الذكية عن فجر الحياة الجديدة.

أســــــتروف: والأستاذ؟

فـو ينيتســكى : الأستاذ، كما فى السابق، يجلس فى غرفة مكتبه من الصباح حتى آخر الليل ويكتب. «ونقدح التفكير، نعصر الجبين، ونكتب القصائد العصماء، لكننا لا نسمع الثناء، لما نخط أو لشخصنا الكريم». يا للورق المسكين! كان الأفضل لو كتب سيرة حياته. يا له من موضوع ممتاز! أستاذ متقاعد، أتدرى، عجوز أعجف، فسيخة مقددة متعلمة.. يعانى من النقرس والروماتيزم والصداع، ومن الغيرة والحسد انتفخت كبده.. وتعيش هذه الفسيخة فى ضيعة زوجته الأولى، يعيش مرغما، لأنه غير قادر على تحمل تكاليف الحياة فى المدينة. ويشكو دائما من مصائبه، رغم أنه فى الواقع سعيد إلى

أقصى حد. (**بعصبية**) انظر أى حظ! ابن شماس بسيط، تلميذ مدرسة دينية ولكنه حصل على الدرجات العلمية وعلى كرسى تدريس، وأصبح صاحب المعالى، وصهرا لعضو مجلس الشيوخ وهلم جرا وهلم جرا.. غير أن هذا كله عموما غير مهم. لكن انظر إلى التالى. شخص يقرأ ويكتب عن الفن طوال خمس وعشرين سنة، وهو لايفقه فى الفن شيئا على الإطلاق. طوال خمس وعشرين سنة يلوك أفكار الآخرين حول الواقعية والناتورالية وغيرها من السخافات. خمسًا وعشرين سنة يقرأ ويكتب عما هو معروف من زمان للأذكياء، وغير ممتع للأغبياء، وإذن، فهو طوال خمس وعشرين سنة يطحن الماء. وفى الوقت نفسه فأى غرور! أى ادعاء! لقد تقاعد ولم يعد يعرفه إنسان واحد، إنه نكرة. وإذن فقد شغل طوال خمس وعشرين سنة مكانا ليس له. ولكن انظر كيف يسير، كأنه شبه إله!

أســــــتروف: أوه، يبدو أنك تحسده.

فـوينيتســكى: نعم، أحسده! وأيـة حظوة لدى النساء! لم يحظ دون جوان واحد بمثل هذا التوفيق التام! زوجته الأولى، أختى، مخلوق رائع وديع، نقية كهذه السماء الزرقاء، نبيلة، سمحاء، كان لها من العشاق أكثر مما لديه من التلاميذ.. أحبته كما لا يحب إلا الملائكة الأطهار

أمثالهم من الرائعين الأنقياء. وأمى، حماته، مازالت تعبده حتى الآن، وإلى الآن مازال يبعث فيها الرعب المقدس. وزوجته الثانية حسناء، ذكية ـ قد رأيتها لتوك ـ تزوجته وقد أصبح عجوزا، ووهبته شبابها، وجمالها، وحريتها، وألقها. مقابل ماذا، لماذا؟

أستروف: هل هى وفية للأستاذ؟

فوينيتسكى: نعم، للأسف.

أستروف: ولماذا للأسف؟

فوينيتسكى: لأن هذا الوفاء مزيف من الألف إلى الياء. فيه الكثير من التكلف ولكن ليس فيه منطق. فخيانة الزوج العجوز الذى لا تطيقه شىء لا أخلاقى، أما قهر الشباب المسكين والمشاعر الحية فليس شيئا لا أخلاقيا.

تيليجين: (**بصوت باك**) فانيا، أنا لا يعجبنى كلامك هذا. يكفى، حقا.. إن من يخن زوجته أو من تخن زوجها، فهو إنسان غير مخلص، بوسعه أن يخون وطنه!

فوينيتسكى: (**بأسى**) أغلق هذه النافورة، يا وفل![1]

تيليجين: دعنى أقول يا فانيا. زوجتى هربت منى مع حبيبها فى اليوم الثانى لزواجنا مباشرة بسبب هيئتى غير الجذابة. ومن يومها لم أخل بواجبى. مازلت إلى الآن أحبها، مخلصا لها، وأساعدها بقدر ما أستطيع، وأنفقت ما

(١) وفل ـ كعكة ذات نتوءات مربعة أو مدورة. **المعرب**.

أملك لتربية أولادها الذين أنجبتهم ممن أحبته. لقد فقدت السعادة، ولكن بقيد لى العزة. وهى؟ ولَّى شبابها، وانطفأ جمالها تحت تأثير قوانين الطبيعة، وتوفى حبيبها.. فما الذى بقى لها؟

(تدخل سونيا ويلينا أندرييفنا. بعد قليل تدخل ماريا فاسيليفنا وبيدها كتاب. تجلس وتقرأ. يقدمون لها الشاى فتتناوله دون أن ترفع عينيها).

ســـونـــيـــا: **(للمربية بعجلة)** الفلاحون هناك يا دادة، جاءوا. اذهبى إليهم، أنا سأتولى الشاى.. **(تصب الشاى).**

(المربية تنصرف. يلينا أندرييفنا تتناول قدحها وتشرب وهى جالسة فى الأرجوحة).

أســـــتروف: **(ليلينا أندرييفنا)** لقد جئت لرؤية زوجك. أنت كتبت لى بأنه مريض جدا، روماتزم وأشياء أخرى، واتضح أنه صحيح معافى.

يلينا: أندرييفنا: مساء أمس كان متوعكا، واشتكى من آلام فى ساقيه، أما اليوم فلا بأس.

أســـــتروف: ولكنى قطعت ثلاثين فرسخا على عجل. لا بأس. ليست هذه أول مرة. على كل حال سأبقى عندكم إلى الغد، على الأقل أنام quantum satis [1].

ســـونـــيـــا: عظيم. من النادر أن تبيت عندنا. تراك لم تتغد؟

أســـــتروف: كلا، لم **أتغد**.

---

(١) بما فيه الكفاية (باللاتينية فى الأصل). المعرب.

سـونـيـا: إذن تتغدى معنا بالمناسبة. نحن الآن نتغدى فى السابعة. **(تشرب الشاى)** الشاى بارد!

تـيـلـيـجـين: الحرارة هبطت كثيرا فى السماور.

يلينا أندرييفنا: لا بأس يا إيفان إيفانيتش، سنشربه باردا.

تـيـلـيـجـين: عفوا..ليس إيفان إيفانيتش، بل إيليا إيليتش.. إيليا إيليتش تيليجين، أو كما يحلو للبعض أن يسمينى الوفل بسبب وجهى المجدور. فى وقت ما عمَّدتُ سونيا، وصاحب المعالى زوجك يعرفنى جيدا. أنا الآن أعيش عندكم، فى هذه الضيعة.. ولعلك لاحظت أننى أتغدى معكم كل يوم.

سـونـيـا: إيليا إيليتش مساعدنا، ذراعنا اليمنى. **(برقة)** هات يا أبى فى العماد أصب لك مزيدا من الشاى.

ماريا فاسيليفنا: آه!

سـونـيـا: ماذا بك يا جدتى؟

ماريا فاسيليفنا: نسيت أن أقول لألكسندر.. تخوننى ذاكرتى.. اليوم تسلمت رسالة من بافل أليكسيفتش فى خاركوف... أرسل إلينا كتيبه الجديد..

أسـتـروف: أهو شيق.؟

ماريا فاسيليفنا: شيق، ولكنه غريب نوعا ما. يدخض ما كان يدافع عنه هو نفسه منذ سبع سنوات. هذا فظيع!

فـوينيتسـكى: ليس فى ذلك أى فظاعة. اشربى الشاى يا maman.

ماريا فاسيليفنا: ولكنى أريد أن أتحدث!

فـو ينينسـكى : ولكننا منذ خمسين سنة نتحدث ونتحدث ونقرأ الكتيبات. آن إذن أن نفرغ من ذلك.

ماريا فاسيليفنا: لست أدرى لماذا تشعر بالضيق عندما تسمعنى أتحدث. عفوا يا جان، ولكنك فى السنة الأخيرة تغيرت كثيرا حتى لم أعد أعرفك.. كنت شخصا محدد المبادئ، شخصية مشرقة..

فـو ينيتسـكى : أوه، طبعا! كنت شخصية مشرقة لا تنشر نورها على أحد..

(صمت)

كنت شخصية مشرقة.. ليس هناك مزحة أكثر سما من هذا! أنا الآن فى السابعة والأربعين. حتى العام الماضى كنت مثلك أضع على عينى عمدا غشاوة من سفسطتك هذه كيلا أرى الحياة الحقيقية، وكنت أظن أننى أصنع خيرا. أما الآن، آه لو تدرين! لا أنام الليل من الأسى، من الغيظ، لأنى أهدرت بحماقة ذلك العمر الذى كان بوسعى أن أحصل فيه على كل ما تحرمه علىَّ الآن شيخوختى!

ســـونـــيـــا: هذا ممل يا خالى فانيا!

ماريا فاسيليفنا: **(لابنها)** كأنك تتهم معتقداتك السابقة بجريمة ما.. ولكنها ليست المذنبة، بل أنت. لقد نسيت أن المعتقدات

فى حدا ذاتها ليست شيئا، أحرف ميتة.. كان ينبغى أن تؤدى عملاً.

فـو ينيتســكى : عمل؟ليس بوسع كل واحد أن يكون perpetuum mobile! كاتبا[1]، مثل صاحبك الهر بروفيسور.

ماريا فاسيليفنا: ماذا تريد بذلك أن تقول؟

ســـونـــيـــا: **(بضراعة)** يا جدتى! يا خالى فانيا! أتوسل إليكما!

فـو ينيتســكى : ها أنا أسكت. أسكت وأعتذر.

(صمت)

يلينا أندرييفنا الطقس اليوم جيد.. ليس حارا..

(صمت)

فـو ينيتســكى : فى طقس كهذا يحلو الانتحار شنقا...

(تيليجين يضبط الجيتار. مارينا تتحرك بجوار البيت وتنادى الدجاجات)

مـــاريـــنـــا: كِتْ، كِتْ، كتْ..

ســـونـــيـــا: لماذا جاء الفلاحون يا دادة؟...

مـــاريـــنـــا: لنفس الغرض، بخصوص قطعة الأرض الفضاء. كتْ، كتْ، كتْ..

ســـونـــيـــا: من تنادين؟

مـــاريـــنـــا: الفرخة الأم ذهبت مع الكتاكيت.. أخشى أن تطاردها الحدأة.. **(تنصرف)**

---

(١) محركا أبديا (باللاتينية). **المعرب**.

(تيليجين يعزف البولكا. الجميع يصغون فى صمت. يدخل أحد العاملين).

العـــامـــل: السيد الدكتور هنا؟ **(لأستروف)** تفضل يا ميخائيل لفوفتش، هناك من يطلبك.

أســـــتروف: من أين؟

العـــامـــل: من الفابريكة.

أســـــتروف: **(بأسى)** شكرا جزيلا. طيب، علىَّ أن أرحل.. **(يبحث بعينيه عن العمرة)** يا للشيطان، أمر مؤسف..

ســـونـــيـــا: صحيح شىء مزعج.. بعد الفابريكة تعال إلى الغداء.

أســـــتروف: كلا، سيكون ذلك متأخرا. أين لنا..؟ وكيف..؟ **(للعامل)** اسمع، أحضر لى من فضلك كأس فودكا، بالفعل.

(العامل ينصرف)

أين لنا..؟ وكيف..؟ **(يجد عمرته)** فى إحدى مسرحيات أستروفسكى يوجد شخص بشوارب كبيرة ومواهب قليلة..هذا هو أنا. حسنا، وداعا يا سادة.. **(ليلينا أندرييفنا)** لو زرتنى فى يوم ما، ربما مع صوفيا ألكسندروفنا، فسأكون فى غاية السرور. عندى ضيعة صغيرة، لا تزيد على ثلاثين ديسياتينا، ولكن إذا كنت تهتمين فعندى بستان نموذجى ومشتل لن تجدى مثله على بعد ألف فرسخ. وقريبا منى غابة حكومية.. الحارس هناك عجوز، مريض دائما، ولذلك فأنا فى الواقع أتولى جميع الأعمال.

يلينا أندرييفنا: أخبرونى أنك تحب الغابات كثيرا. بالطبع من الممكن أن تؤدى بذلك خدمة كبيرة، ولكن ألا يعرقل هذا مهمتك الحقيقية؟ إنك طبيب.

أســــــتروف: الله وحده يعلم ما هى مهمتنا الحقيقية.

يلينا أندرييفنا: وهل الأمر شيق؟

أســــــتروف: نعم شيق.

فـــو ينيتسـكى : **(بسخرية)** جدا!

يلينـا أنـدرييفنا: **(لأستروف)** أنت لم تزل شابا.. من مظهرك تبدو فى الـ.. حسنا، فى السادسة أو السابعة والثلاثين.. وأعتقد أن الأمر ليس شيقا كما تقول. الغابة ولا شىء آخر، أظن أن ذلك رتيب ممل.

ســــونــــيـــــا: كلا، هذا شيق للغاية. ميخائيل لفوفتش يغرس كل عام غابات جديدة، وقد أرسلوا له ميدالية برونزية وشهادة وهو يسعى من أجل المحافظة على الغابات القديمة. ولو استمعت إليه فستوافقينه تماما. يقول إن الغابات زينة الأرض، وإنها تعلّم الإنسان كيف يدرك الجمال وتوحى إليه بمزاج العظمة. الغابات تخفف من قسوة المناخ. وفى البلدان ذات المناخ المعتدل ينفق الناس مجهودا أقل فى الصراع ضد الطبيعة ولذلك فالإنسان فيها أرق وألطف. الناس هناك حسان، مرنون، سريعو الانفعال، وكلامهم منمق وحركاتهم رشيقة. والعلوم

والفنون مزدهرة لديهم، وفلسفتهم ليست كئيبة، ونظرتهم إلى المرأة مفعمة بالنبل الجميل..

فوينيتسكى: **(ضاحكا)** برافو! برافو!... كل هذا لطيف ولكن غير مقنع، ولذلك (ملتفتا إلى أستروف) فلتسمح لى يا صديقى أن أواصل إشعال الحطب فى المدافئ وبناء الحظائر من الأخشاب.

أستروف: بوسعك أن تستخدم فحم المستنقعات للتدفئة، وأن تبنى الحظائر من الأحجار. حسنا، إننى أفهم أن نقطع الأشجار بسبب الحاجة، ولكن لماذا تقضى على الغابات؟ الغابات الروسية تتهاوى تحت ضربات الفئوس، وتهلك مليارات الأشجار، وتقفر ملاجئ الوحوش والطيور، وتغيض وتجف الأنهار، وتختفى بلا رجعة المناظر الطبيعية الرائعة، وكل ذلك لأن الإنسان الكسول لا يجد من العقل ما يكفى لكى ينحنى ويلتقط الوقود من الأرض. **(ليلينا أندرييفنا)** أليس كذلك يا سيدتى؟ ينبغى أن يكون المرء بربريا جاهلا لكى يحرق فى المدفأة هذا الجمال، ويدمر ما لا نستطيع أن نخلقه. لقد وهب الإنسان عقلا وقوة مبدعة لكى يضاعف ما أعطى له، لكنه إلى الآن لم يبدع بل دمَّر. الغابات تتناقص والأنهار تجف، الطيور البرية اختفت، والمناخ فسد، ومع كل يوم تصبح الأرض أفقر

وأقبح. (**لفوينيتسكى**) ها أنت ذا تنظر إلىّ باستهزاء، وكل ما أقوله يبدو لك غير جدى و.. وربما كان هذا بالفعل غرابة أطوار، ولكننى عندما أمر بجوار غابات الفلاحين التى أنقذتها من الاجتثاث، أو عندما أسمع حفيف شجيراتى الفتية، فى الغابة التى غرستها بيدىّ، أدرك أن المناخ جزئيا تحت سيطرتى أنا أيضا، وأنه إذا ما أصبح الإنسان سعيدا بعد ألف عام فسأكون أنا إلى حد ما أحد المتسببين فى ذلك. عندما أغرس بتولا، ثم أراها وهى تخضرّ وتهتز مع الريح تمتلئ روحى بالفخر وأنا..
(**يرى بجواره العامل حاملا كأس فودكا على صينية**)
حسنا.. (**يشرب**) آن لى أن أمضى. ربما كان ذلك كله غرابة أطوار بالفعل. وداعا يا سادة! (**يتجه إلى البيت**)

سونيا: (**تتأبط ذراعه وتمضى معه**) متى ستأتى لتزورنا؟

أستروف: لست أدرى..

سونيا: مرة أخرى بعد شهر؟..

(**يمضى أَستروف وسونيا إلى البيت. تبقى ماريا فاسيليفنا وتيليجين بجوار المائدة. تمضى يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى إلى الشرفة**).

يلينا أندرييفنا: مرة أخرى كان سلوكك يا إيفان بتروفتش فظيعا. هل كان ثمة ضرورة لإثارة ماريا فاسيليفنا والحديث عن perpetuum mobile!. واليوم أيضا تجادلت مع ألكسندر أثناء الإفطار. ما أسخف ذلك!

فوينيتسكى: وما العمل إذا كنت أمقته!

يلينا أندرييفنا: ليس هناك ما يدعو إلى كراهية ألكسندر، إنه مثل الآخرين. ليس أسوأ منك.

فوينيتسكى: آه لو كان بوسعك أن ترى وجهك وحركاتك.. كم تتكاسلين على الحياة! يا له من كسل!

يلينا أندرييفنا: آه، نعم كسل وملل! الجميع يذمون زوجى، والجميع ينظرون إلىّ برثاء: يا للبائسة، زوجة عجوز! هذا الإشفاق علىّ، أوه كم أفهمه! مثلما قال أستروف الآن: كلكم تهلكون الغابات بلا تبصر، وعما قريب لن يبقى شيء على وجه الأرض. وهكذا تماما تهلكون الإنسان بلا تبصر، وعما قريب لن يبقى على وجه الأرض بفضلكم لا وفاء ولا طهارة ولا قدرة على التضحية بالنفس. لماذا لا تستطيعون أن تنظروا بلا مبالاة إلى امرأة ليست لكم؟ لأن فى داخل كل منكم ـ وذلك الطبيب على حق ـ يقبع شيطان دمار. أنتم لا تشفقون لا على الغابات، ولا على الطيور، ولا على النساء ولا على بعضكم البعض..

فوينيتسكى: أنا لا أحب هذه الفلسفة!

(صمت)

يلينا أندرييفنا: هذا الطبيب وجهه مرهق، عصبى وجه طريف. يبدو أنه يعجب سونيا، إنها متيمة به وأنا أفهمها... منذ أن حضرت جاء إلى هنا ثلاث مرات، ولكنى خجولة فلم

أتحدث معه كما ينبغي ولا مرة، ولم ألاطفه. وظن أنني شريرة. أظن يا إيفان بتروفتش أن صداقتنا على هذه الدرجة من القوة لأننا كلينا ممل! نعم، نحن مضجران! لا تنظر إليَّ هكذا. أنا لا أحب هذا.

فـو ينيتســكى : وهل أستطيع أن أنظر إليك بصورة أخرى إذا كنت أحبك؟ أنت سعادتى، حياتى، شبابى! أعرف أن فرصتى فى الشعور المتبادل ضئيلة، تساوى صفرا، ولكن لا أطمع فى شىء، فقط اسمحى لى بأن أتطلع إليك، وأسمع صوتك..

يلينا أندرييفنا: حاسب وإلا سمعك أحد!

(يذهبان إلى البيت)

فـو ينيتســكى : **(سائرا خلفهما)** فلتسمحى لى بأن أتحدث عن حبى، لا تصديني عنك وهذا وحده سيكون أعظم سعادة لى.

يلينا أندرييفنا: يا للعذاب .

(يدخلان البيت)

(تيليجين يضرب على الأوتار ويعزف البولكا. ماريا فاسيليفنا تدون شيئا ما على هوامش الكتيب).

(ستار)

الفصل الثانى

(غرفة الطعام فى منزل سيريبرياكوف. الوقت ليل. تسمع دقات الحارس فى البستان، سيريبرياكوف يجلس غافيا فى مقعد أمام نافذة مفتوحة ويلينا أندرييفنا تجلس بجواره غافية أيضا)

سيريبرياكوف: **(مستيقظا)** من هنا؟ أهى أنت يا سونيا؟

يلينا أندرييفنا: هذه أنا.

سيريبرياكوف: أنت يا لينوتشكا.. ألم لا يطاق!

يلينا أندرييفنا: الحرام سقط منك على الأرض. **(تدثر ساقيه)** سأغلق النافذة يا ألكسندر.

سيريبرياكوف: كلا، أشعر بالاختناق.. لقد غفوت الآن فحلمت بأن ساقى اليسرى تبدو ليست لى. استيقظت من ألم لا يطاق. كلا هذا ليس نقرسا، الأرجح روماتيزم. كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: الثانية عشرة وعشرون دقيقة.

(صمت)

سيريبرياكوف: ابحثى فى الصباح عن باتوشكوف [1] فى المكتبة. يبدو أنه موجود.

يلينا أندرييفنا: ماذا؟

سيريبرياكوف: ابحثى فى الصباح عن باتوشكوف. أذكر أنه موجود عندنا. ولكن لماذا أشعر بضيق تنفس هكذا؟

يلينا أندرييفنا: لقد أرهقت. لا تنام لثانى ليلة.

سيريبرياكوف: يقال إن تورجينيف أصيب بذبحة صدرية بسبب النقرس. أخشى أن أصاب أنا أيضا. يا لها من شيخوخة فظيعة، ملعونة، تبًا لها. عندما أصبحت عجوزًا صرت أشمئز من نفسى. ولعلكم جميعا تشمئزون من النظر إلىّ.

يلينا أندرييفنا: أنت تتحدث عن شيخوختك بنبرة وكأننا نحن كلنا مذنبون فى أنك عجوز.

سيريبرياكوف: أنت أول من يشمئز منى.

(يلينا أندريفنا تبتعد عنه وتجلس على مقربة)

طبعا أنت على حق. لست أحمق وأفهم. أنت شابة، عفية، جميلة، ترغبين فى الحياة، أما أنا فعجوز، جثة تقريبا. وماذا؟ أتظنيننى لا أفهم؟ ومن الحماقة بالطبع أننى ما زلت حيا إلى الآن. ولكن اصبروا، قريبا سأريحكم جميعا. لم يبق أمامى الكثير.

---

(١) قسطنطين باتوشكوف (١٧٨٧ ـ ١٨٥٥) ـ شاعر روسى رومانسى. **المعرب**.

يلينا أندرييفنا: أنت ترهقنى.. أرجوك اسكت.

سيريبرياكوف: وإذن فبسببى يرهق الجميع، ويسأمون، ويهلكون شبابهم، وأنا الوحيد الذى أتمتع بالحياة وأشعر بالرضا. طبعا، فعلا!

يلينا أندرييفنا: اسكت! لقد عذبتنى!

سيريبرياكوف: لقد عذبت الجميع. طبعا.

يلينا أندرييفنا: **(من خلال الدموع)**: هذا لا يطاق! قل لى ماذا تبغى منى؟

سيريبرياكوف: لا شيء.

يلينا أندرييفنا: فلتسكت إذن. أرجوك.

سيريبرياكوف: شيء غريب.. إذا ما تحدث إيفان بتروفتش، أو هذه البلهاء العجوز ماريا فاسيليفنا، فلا بأس.. الجميع يصغون، وما إن أقول ولو كلمة حتى يشعر الجميع بأنهم تعساء. حتى صوتى كريه عليهم. حسنا، فلنفرض أننى كريه، أننى أنانى، طاغية.. أفليس لى بعض الحق، حتى فى شيخوختى، فى الأنانية؟ أفلست جديرا بذلك؟ إننى أسألكم، أليس لى الحق فى شيخوخة هادئة، فى اهتمام الآخرين بى؟

يلينا أندرييفنا: لا أحد ينازع؛ حقوقك.

(الريح تصفق النافذة)

الريح اشتدت، سأغلق النافذة. **(تغلقها)** سيسقط المطر حالا. لا أحد ينازعك حقوقك.

(صمت. الحارس يدق فى البستان ويغنى)

سيريبرياكوف: تعمل طوال عمرك من أجل العلم، وتألف غرفة مكتبك، وقاعة المحاضرات، والرفاق المحترمين.. وفجأة تفيق فتجد نفسك دونما سبب فى هذا اللحد، وترى كل يوم أناسا أغبياء وتسمع أحاديث تافهة.. أنا أريد أن أعيش، إننى أحب النجاح، أحب الشهرة والصخب، أما هنا فكما فى المنفى. كل لحظة تحن إلى الماضى، وتراقب نجاح الآخرين وتخاف الموت.. لا أستطيع! لا أحتمل! وفوق ذلك لا يريدون أن يغفروا لى شيخوختى!

يلينا أندرييفنا: انتظر، اصبر، بعد خمس أو ست سنوات سأصبح أنا أيضا عجوزًا.

(تدخل سونيا)

سونيا: بابا، أنت أمرت باستدعاء الدكتور أستروف، وعندما جاء رفضت استقباله. ليس هذا من اللياقة. عبثا أزعجنا الرجل..

سيريبرياكوف: وما حاجتى إلى صاحبك أستروف؟ إنه يفهم فى الطب كما أفهم أنا فى الفلك.

سونيا: هل نستدعى من أجل نقرسك كلية الطب بأكملها؟

سيريبرياكوف: لن أتحدث مع هذا الأبله.

سونيا: كما تشاء. **(تجلس)** بالنسبة لى سيان.

سيريبرياكوف: كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: تقترب من الواحدة.

سيريبرياكوف: الجو خانق.. أعطينى الدواء من على الطاولة يا سونيا.

ســونــيــا: طيب. **(تناوله الدواء)**.

سيريبرياكوف: **(بعصبية)** أه، ليس هذا! لا يمكن رجاؤك فى شىء!

ســونــيــا: أرجوك دعك من النزق. ربما كان ذلك يروق للبعض، أما أنا فاعفنى منه من فضلك! أنا لا أحب ذلك. وليس لدى وقت. علىّ غدا أن أنهض مبكرا. عندى حصاد.

(يدخل فوينيتسكى فى روب حاملا شمعة)

فوينيتسكى: العاصفة توشك أن تندلع فى الخارج.

(برق)

انظروا! هيلين وسونيا، اذهبا لتناما. لقد جئت لأحل محلكما.

سيريبرياكوف: **(بجزع)** كلا، كلا، لا تتركانى معه! سيرهقنى بحديثه!

فوينيتسكى: ولكن ينبغى أن يرتاحا! هذه ثانى ليلة لا ينامانها.

سيريبرياكوف: فليذهبا إلى النوم ولكن اذهب أنت أيضا. أشكرك. أتوسل إليك. بحق صداقتنا القديمة لا تعارض. سنتحدث فيما بعد.

فوينيتسكى: **(باستهزاء)** صداقتنا القديمة.. القديمة..

ســونــيــا: اسكت ياخالى فانيا.

سيريبرياكوف: **(لزوجته)** يا عزيزتى، لا تتركينى معه! سيرهقنى بالحديث.

فـو ينيتســكى : إن هذا يتحول إلى شىء مضحك.

(تدخل مارينا حاملة شمعة)

ســـونـــيـــا: اذهبى ونامى يا دادة. الوقت متأخر.

مـــاريـــنـــا: السماور لم يرفع بعد عن الطاولة، فكيف أنام.

سيريبرياكوف: الجميع ساهرون، مرهقون، أنا الوحيد الذى أستمتع.

مـــاريـــنـــا: **(تقترب من سيريبرياكوف، تقول برقة)** ماذا يا عزيزى؟ تشعر بألم؟ أنا أيضا ساقاى تطنان، تطنان بلا توقف. **(تسوى حرامه)** هذا مرضك القديم. المرحومة فيرا بتروفنا، والدة سونتشكا، كانت لا تنام الليل أحيانا من جزعها عليك..كم كانت تحبك..

(صمت)

العجائز والصغار سيان، يرغبون فى العطف، ولكن لا أحد يعطف على العجائز. **(تقبل سيريبرياكوف فى كتفه)** هيا يا عزيزى، هيا إلى الفراش.. هيا أيها الغالى.. سأسقيك شايا من أوراق الزيزفون، وأدفـئ لك ساقيك.. سأصلى لله من أجلك..

سيريبرياكوف: **(متأثرا)** هيا يا مارينا.

مـــاريـــنـــا: أنا نفسى ساقاى تطنان، تطنان بلا توقف. **(تقوده هى وسونيا)** كانت فيرا بتروفنا تجزع أحيانا، وتظل تبكى.. أنت يا سونتشكا كنت آنذاك صغيرة: عبيطة.. هيا، هيا يا عزيزى..

(ينصرف سيريبرياكوف وسونيا ومارينا)

يلينا أندرييفنا: لقد تعذبت معه. لا أكاد أقوى على الوقوف.

فـو ينيتســكى: أنت تعذبت معه وأنا مع نفسى. لا أنام لثالث ليلة.

يلينا أندرييفنا: لا توفيق فى هذا البيت. أمك تمقت كل شىء ما عدا كتيباتها والأستاذ. والأستاذ مستفز، لا يثق فىَّ ويخاف منك. سونيا غاضبة من أبيها، غاضبة منى ولا تحدثنى منذ أسبوعين. وأنت تمقت زوجى وتحتقر أمك علانية. وأنا مستفزة وكدت أبكى اليوم عشرين مرة.. لا توفيق فى هذا البيت.

فـو ينيتســكى: دعينا من الفلسفة!

يلينا أندرييفنا: أنت يا إيفان بتروفتش متعلم وذكى، ومن المفروض أن تفهم أن العالم يهلك لا من اللصوص، ولا من الحرائق، بل من الحقد والعداوة، من كل هذه الضغائن التافهة.. الأجدر بك ألا تتذمر، بل أن تصلح بين الجميع.

فـو ينيتســكى: فلتصالحينى مع نفسى أولا! يا عزيزتى!.. **(يرتمى على يدها)**

يلينا أندرييفنا: دعنى! **(تسحب يدها)** أنصرف!

فـو ينيتســكى: سينتهى المطر قريبا وينتعش كل شىء فى الطبيعة ويتنفس الصعداء. أنا الوحيد الـذى لن تنعشه العاصفة. ليل نهار، تخنقنى فكرة أن حياتى ضاعت، وبلا رجعة. ليس لدى ماض، لقد بددته بحماقة على

التفاهات، والحاضر فظيع فى لا معقوليته. هذه هى حياتى وهذا هو حبى.. إلى أين أذهب بهما، وماذا أفعل بهما؟ شعورى يهلك هدرا كشعاع الشمس الساقط فى حفرة، وأنا أيضا أهلك.

يلينا أندرييفنا: عندما تحدثنى عن حبك أشعر بالتبلد ولا أدرى ماذا أقول. اعذرنى، ولكنى لا أستطيع أن أقول لك شيئا. **(تهم بالذهاب)** طابت ليلتك.

فـوينيتسـكى : **(يعترض سبيلها)** ولو عرفت لم أتعذب من إحساسى بأن حياة أخرى قريبة منى تهلك فى هذا البيت.. حياتك! ما الذى تنتظرينه؟ أية فلسفة لعينة تعوقك؟ فلتفهمى إذن، افهمى..

يلينا أندرييفنا: **(تحدجه بنظرة ثاقبة)** إيفان بتروفتش، أنت سكران!

فـوينيتسـكى : ربما، ربما..

يلينا أندرييفنا: وأين الدكتور؟

فـوينيتسـكى : إنه هناك.. يبيت عندى. ربما.. كل شىء جائز!

يلينا أندرييفنا: واليوم أيضا شربت؟ ما الداعى؟

فـوينيتسـكى: على الأقل أشعر بما يشبه الحياة...لا تعوقينى Helene![1]

يلينا أندرييفنا: لم تكن تشرب أبدا من قبل، ولم تكن تثرثر هكذا أبدا.. اذهب ونم! أشعر معك بالملل.

---

(١) يلينا (بالفرنسية فى الأصل).

فـو ينيتســكى : **(ينكب على يدها)** يا عزيزتى.. يا رائعتى!

يلينا أندرييفنا: **(بأسى)** دعنى. هذا كريه فى نهاية الأمر. **(تنصرف)**.

فـو ينيتسـكى : **(وحده)** ذهبت..

(صمت)

منذ عشر سنوات قابلتها عند المرحومة أختى. كانت آنذاك فى السابعة عشرة، وكنتُ فى السابعة والثلاثين. فلماذا لم أقع آنذاك فى هواها وأخطبها؟ كان ذلك ممكنا جدا! ولكانت الآن زوجتى.. نعم.. كنا استيقظنا الآن معا بسبب العاصفة.. هى فزعة من الرعد، وأنا أضمها إلى صدرى وأهمس: «لا تخافى، أنا هنا». أوه، يا لها من أفكار مدهشة، ما أروع ذلك، إننى حتى أضحك.. ولكن، يا إلهى، الأفكار تختلط فى رأسى.. لماذا أنا عجوز؟ لماذا لا تفهمنى؟ تكلفها هذا، وأخلاقياتها الكسول، وأفكارها التافهة الكسلى حول هلاك العالم.. كل ذلك أمقته غاية المقت.

(صمت)

أوه، كم خدعت! كنت أعبد هذا الأستاذ، هذا النقرسى التافه. كنت أعمل من أجله كالبغل. كنت أنا وسونيا نعتصر هذه الضيعة حتى آخر قطرة. كنا كالكولاك نتاجر فى الزيت والحمص واللبن الرائب.. كنت لا

نأكل حتى الشبع لكى نجمع من الكوبيكات آلاف الروبلات ونرسلها إليه. وكنت أفخر به وبعلمه، كنت أعيش وأتنفس به! كل ما كان يكتبه أو يتفوه به بدا لى عبقريا.. يا إلهى، والآن؟ ها هو قد تقاعد وأصبحت ظاهرة كل نتيجة حياته: لن تبقى بعده صفحة واحدة من العمل، إنه نكرة تماما، لا شىء! فقاعة صابون! وأنا قد خدعت.. وكما أرى خدعت بغباء..

(يدخل أستروف فى سترة بدون صديرى وبدون رابطة عنق. يبدو ثملا. يتبعه تيليجين مع الجيتار)

أستروف: اعزف!

تيليجين: الجميع نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

(لفوينيتسكى) أنت هنا وحدك؟ لا سيدات؟ **(يضع يديه فى خصرة ويغنى بصوت خافت)** «تحرك أيها البيت، تحرك أيها الفرن، لن يجد السيد ركنا للنوم..» العاصفة أيقظتنى. يا له من مطر. كم الساعة الآن؟

فوينيتسكى: الشيطان يعلم!

أستروف: خيل إلىَّ أننى سمعت صوت يلينا أندرييفنا.

فـو ينيتسـكى : كانت هنا منذ قليل.

أســـتروف: امرأة فخمة **(يتفحص القوارير على الطاولة)** أدوية. ما أكثر الروشتات هنا! من خاركوف، ومن موسكو، ومن تولا.. أضجر المدن كلها بنقرسه. أهو مريض أم يتمارض؟

فـو ينيتسـكى : مريض.

(صمت)

أســـتروف: مالك اليوم حزين هكذا؟ أتراك تشفق على الأستاذ؟

فـو ينيتسـكى : دعنى.

أســـتروف: أم ربما وقعت فى غرام زوجة الأستاذ؟

فـو ينيتسـكى : إنها صديقتى.

أســـتروف: لحقت؟

فـو ينيتسـكى : ماذا تعنى بـ «لحقت» هذه؟

أســـتروف: المرأة لا يمكن أن تصبح صديقة للرجل إلا حسب الترتيب التالى: أولاً زميلة، فعشيقة، ثم بعدها صديقة.

فـو ينيتسـكى : فلسفة المبتذلين.

أســـتروف: ماذا؟ نعم.. ينبغى أن أعترف.. إننى أصبح مبتذلا. أترى، وأيضًا سكران. عادة أسكر هكذا مرة واحدة فى الشهر. وعندما أكون فى هذه الحالة أصبح وقحًا وصفيقًا إلى أقصى حد. عندئذ لا أبالى بشىء! أقدم على إجراء أصعب العمليات، وأجريها على أروع

ما يكون. أرسم أعرض الخطط للمستقبل. وعندها لا أبدو لنفسي غريب الأطوار وأومن بأنني أعود على البشرية بفائدة عظيمة.. عظيمة! وفي هذه اللحظات يصبح لديَّ نظامي الفلسفي الخاص، وتبدون لي جميعا يا إخوتي مجرد هوام.. ميكروبات. **(لتيليجين)** اعزف يا وفل!

تـلـيـجـين: يا صديقي، يسعدني أن أعزف لك من صميم قلبي، ولكن أهل البيت نيام!

أســتروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفة)

أريد أن أشرب. هيا، أعتقد أنه بقي لدينا شيء من الكونياك. وما إن يشرق النهار حتى نذهب إليَّ. موافق؟ **(يرى سونيا داخلة)** عفوا، إنني بدون رابطة عنق. **(ينصرف بسرعة ويتبعه تيليجين)**

ســونـيـا: سكرت ثانية يا خالي فانيا مع الطبيب. تصادق الفارسان الصنديدان. حسنًا، الدكتور دائما هكذا، ولكن أنت، ما الداعي؟ هذا لا يناسب أبدًا شخصًا في عمرك.

فـوينيتسـكي: لا دخل للعمر هنا. عندما لا توجد حياة حقيقية يعيش الناس على السراب. إنه على أي حال أفضل من لا شيء.

ســونـيـا: العشب قد حصدناه كله، وكل يوم يسقط المطر فيدب العطن فيه، بينما أنت تلهو بالسراب. أنت أهملت الأعمال

تمامًا.. وأنا أعمل وحدى، خارت قواى تمامًا.. **(بذعر)** يا خالى، فى عينيك دموع!

فـوينيتسـكى: أى دموع؟ لا شىء هناك.. كلام فارغ.. لقد نظرت الآن إلىّ كنظرة المرحومة أمك. يا عزيزتى.. **(يقبل يديها ووجهها بنهم)** يا أختى.. الغالية أين هى الآن؟ آه لو كانت تعلم! آه لو كانت تعلم!

سـونـيـا: ماذا؟ تعلم ماذا يا خالى؟

فـوينيتسـكى: الأمور صعبة.. سيئة.. لا شىء..فيما بعد.. لا شىء.. سأذهب.. **(ينصرف)**

سـونـيـا: **(تدق الباب)** ميخائيل لفوفتش! ألست نائما؟ دقيقة واحدة!

أسـتروف: **(من خلف الباب)** حالًا **(يدخل بعد قليل مرتديا الصديرى ورباط العنق)** بم تأمرين؟

سـونـيـا: إذا لم يكن ذلك كريها، فلتشرب كما تشاء، ولكن أرجوك لا تسق خالى. هذا مضر له.

أسـتروف: حسنًا. لن نشرب بعد.

(صمت)

سأرحل الآن إلى دارى. صدر القرار وأعتمد. إلى أن يسرجوا العربة يكون الفجر قد أشرق.

سـونـيـا: المطر يسقط، انتظر إلى الصباح.

أسـتروف: العاصفة تمر بعيدة عن هنا، لا تصيب إلا طرف الناحية.

سأرحل. وأرجوك، لا تستدعينى بعد ذلك لفحص أبيك. أنا أقول له: لديك نقرس، فيقول: روماتيزم. أرجوه أن يستلقى لكنه يجلس. أما اليوم فلم يشأ حتى أن يتحدث معى.

سونيا: إنه مدلل **(تبحث فى البوفيه)** أتريد أن تأكل؟

أستروف: حسنًا، هاتى.

سونيا: أنا أحب الأكل ليلًا. يبدو أنه يوجد شىء ما فى البوفيه. يقال إنه كان يحظى بإقبال كبير من النساء فدللنه. ها هى جبنة، تفضل.

(يقفان بجوار البوفيه ويأكلان)

أستروف: أنا لم أذق الطعام اليوم، شربت فقط أبوك طباعه صعبة **(يخرج زجاجة من البوفيه)** أتسمحين؟ **(يشرب كأسًا)** لا أحد هنا وبوسعى أن أحدثك بصراحة. أتدرين، يخيل إلى أننى ما كنت لأبقى حيا فى بيتكم شهرًا واحدًا، ولاختنقت فى هذا الجو.. أبوك الذى غاص تمامًا فى نقرسه وكتبه، والخال فانيا مع اكتئابه، وجدتك، وأخيرًا زوجة أبيك..

سونيا: مالها؟

أستروف: كل شىء ينبغى أن يكون جميلًا فى الإنسان: الوجه، والثياب، والروح، والأفكار. هى جميلة، ما فى ذلك شك ولكن.. إنها فقط تأكل، وتنام، وتتريض، وتسحرنا

جميعا. بجمالها.. ولا شيء أكثر. ليس لديها أية التزامات، والآخرون يعملون من أجلها.. أليس كذلك؟ إن حياة الفراغ لا يمكن أن تكون طاهرة.

(صمت)

وعلى العموم ربما أكون متشددًا في أحكامي، أنا غير راض عن حياتي، مثل خالك فانيا، وكلانا نصبح متأففين.

ســـونـــيـــا: وهل أنت غير راض عن حياتك؟

أســـــتروف: أنا عمومًا أحب الحياة، ولكنى لا أطيق حياتنا الإقليمية، الروسية، التافهة، وأحتقرها بكل ما في روحي من قوة. أما فيما يخص حياتي أنا الشخصية، فأقسم لك، ليس فيها أي شيء طيب. أتدرين، عندما تسير عبر الغابة في ليلة مظلمة، وإذا كان هناك ضوء يلوح في الأفق، فإنك لا تشعر لا بالتعب، ولا بالعتمة، ولا بالأغصان الشائكة التي تضربك في وجهك.. إنني أعمل ـ وأنت تعرفين ذلك ـ كما لا يعمل أحد في الناحية، والقدر يرميني بمصائبه دون توقف، وأحيانًا أعاني بصورة لا توصف، غير أنه ليس لديَّ ضوء في الأفق. لم أعد أنتظر شيئًا لنفسي، ولا أحب الناس.. منذ وقت طويل لم أعد أحب أحدًا.

ســـونـــيـــا: لا أحد؟

أســـــتروف: لا أحد. أُكنُّ بعض المشاعر الرقيقة لمربيتكم فقط، من أيام زمان. الفلاحون متشابهون جدًا ومتخلفون، يعيشون

فى القذارة، أما المثقفون فمن الصعب التفاهم معهم. إنهم يسببون لى الإرهاق. وكلهم، معارفنا الطيبون، سطحيو التفكير، سطحيو المشاعر، ولا يرون أبعد من أنوفهم، باختصار أغبياء. أما ذوو الأهمية فيهم والأكثر ذكاء فمصابون بالهستيريا، مهمومون بتحليل الذات وردود الفعل.. إنهم يتأففون، ويحقدون، ويفترون على نحو خطير، يقتربون من الشخص بحذر وينظرون إليه شزرا ويصدرون الحكم: «أوه هذا سيكوباتى!» أو «هذا ثرثار!» وعندما لا يجدون اللافتة المناسبة لإلصاقها على جبينى يقولون: «هذا شخص غريب، غريب!» إننى أحب الغابة، وهذا غريب، ولا آكل اللحم، وهذا أيضًا غريب. لم تعد هناك نظرة بسيطة، صافية، حرة إلى الطبيعة وإلى الناس.. كلا ثم كلا! **(يهم بالشرب)**.

ســـونـــيـــا: **(تمنعه)** كلا، أرجوك، أتوسل إليك، لا تشرب بعد.

أســـــتروف: ولِـمَ؟

ســـونـــيـــا: هذا لا يناسبك أبدًا! فأنت رشيق، وصوتك رقيق بل أكثر.. أنت غير كل من أعرفهم، أنت رائع، لماذا تريد إذن أن تصبح مثل الناس العاديين الذين يشربون ويلعبون الورق؟ أوه، لا تفعل ذلك، أرجوك! أنت دائمًا تقول إن الناس لا يبدعون بل فقط يدمرون ما وهبته لهم السماء. فلماذا، لماذا إذن تدمر نفسك؟ لا داعى، لا داعى، أتوسل إليك، أستحلفك.

أســــتروف: **(يمد لها يده)** لن أشرب بعد.

ســونــيــا: أعطنى عهدًا.

أســــتروف: أقسم بشرفى.

ســونــيــا: **(تشد على يده بقوة)** أشكرك!

أســــتروف: انتهينا! لقد أفقت. أترين، ها أنا ذا مفيق تمامًا، وسأظل كذلك حتى آخر أيامى. **(ينظر إلى الساعة)** حسنًا، فلنواصل. أقول إن زمنى ولَّى، تأخرت.. هرمت، هدنى العمل، تبذلت وتبلدت كل أحاسيسى، ويبدو لم يعد فى مقدورى أن أتعلق بإنسان. أنا لا أحب أحدًا و.. لن أحب. أما الشىء الذى ما يزال يشدنى فهو الجمال. لا أستطيع أن أكون لا مباليًا تجاهه. يخيل إلىَّ أن يلينا أندرييفنا لو أرادت لاستطاعت أن تسلبنى رشدى فى يوم واحد.. ولكن ذلك لن يكون حبًا، أو تعلقًا..

(يغطى عينيه براحته وينتفض)

ســونــيــا: ماذا بك؟

أســــتروف: أبدًا.. فى الصيام الكبير مات أحد مرضاى تحت البنج.

ســونــيــا: آن أن تنسى ذلك.

(صمت)

خبرنى يا ميخائيل لفوفتش.. لو أن عندى صديقة، أو أختا صغرى، ولو أنك عرفت أنها.. لنفرض.. أنها تحبك، فماذا كنت تفعل؟

أســــــتروف: **(يهز كتفيه)** لا أعرف. أعتقد لا شيء. كنت أفهمها أننى لن أستطيع أن أحبها.. ليس هذا ما يشغل بالى. على أى حال ما دمت سأرحل فلأرحل الآن. وداعًا يا عزيزتى، وإلا فلن ننتهى إلى الصباح. **(يشد على يدها)** سأمر عبر غرفة الجلوس إذا سمحت، إذ أخشى أن يتشبث خالك بى. **(ينصرف)**

ســـونـــيـــا: **(وحدها)** لم يقل لى شيئًا.. ما زالت روحه وقلبه مغلقين أمامى، فلماذا إذن أشعر بنفسى سعيدة إلى هذه الدرجة؟ **(تضحك من السعادة)** قلت له: أنت رشيق، نبيل، وصوتك رقيق.. فهل كان ذلك غير مناسب؟ إن صوته مرتعش، يلاطف.. ها أنذا أحس به فى الجو. ولكن عندما حدثته عن الأخت الصغرى لم يفهم.. **(تعصر يديها)** أوه، ما أفظع كونى قبيحة! ما أفظعه!

أنا أعرف أننى قبيحة، أعرف، أعرف.. فى الأحد الماضى، ونحن خارجون من الكنيسة، سمعتهم يتحدثون عنى، وقالت إحدى النساء: «إنها طيبة، كريمة، ولكنها، ويالأسف، قبيحة» قبيحة..

(تدخل يلينا أندرييفنا)

يلينا أندرييفنا: **(تفتح النافذة)** مرت العاصفة. ياله من هواء منعش! **(صمت)**

أين الدكتور؟

ســونــيــا: انصرف.

(صمت)

يلينا أندرييفنا: صوفى!

ســونــيــا: ماذا؟

يلينا أندرييفنا: إلى متى ستظلين غاضبة منى؟ لم تتسبب أى منا فى أذى للأخرى: فلماذا نتعادى؟ كفى..

ســونــيــا: أنا نفسى أردت أن.. **(تعانقها)** كفى زعلًا.

يلينا أندرييفـا: ممتاز.

(كلتاهما منفعلتان)

ســونــيــا: هل بابا نائم؟

يليلنا أندرييفنا: كلا، جالس فى غرفة الجلوس.. لا نتحادث بالأسابيع والله يعلم بسبب ماذا.. **(ترى البوفيه مفتوحا)** ما هذا؟

ســونــيــا: ميخائيل. لفوفتش تعشى.

يلينا أندرييفنا: ويوجد نبيذ.. هيا نشرب نخب التآخى.

ســونــيــا: هيا.

يلينا أندرييفنا: من كأس واحـدة.. **(تصب)** هكذا أفضل. حسنًا، أخوات؟

ســونــيــا: أخوات.

(تشربان وتتبادلان القبل)

من زمان أردت أن أتصالح معك، ولكنى كنت أخجل..

(تبكى)

يلينا أندرييفنا: لماذا تبكين؟

ســـونـــيـــا: لا شيء، هكذا.

يلينا أندرييفنا: كفاك.. **(تبكى)** يالك من غريبة، جعلتنى أبكى..

(صمت)

أنت غاضبة منى لأننى، فى ظنك، تزوجت أباك عن مصلحة.. ولكن إذا كنت تصدقين الأيمان، فأقسم لك أننى تزوجته عن حب. همت به كعالم وشخصية شهيرة. لم يكن حبًا حقيقيًا، بل مصطنعًا، ولكن بدا لى آنذاك أنه حب حقيقى. لست مذنبة. أما أنت فلم تكفى، منذ حفل زواجنا، عن عقابى بنظراتك الذكية المرتابة.

ســـونـــيـــا: كفى، تصالحنا، تصالحنا! لننس ذلك.

يلينا أندرييفنا: لا تنظرى هكذا. هذا لا يناسبك.

يجب أن تصدقى الجميع، وإلا استحال العيش.

(صمت)

ســـونـــيـــا: خبرينى بالحق، كصديقة.. هل أنت سعيدة؟

يلينا أندرييفنا: كلا.

ســـونـــيـــا: كنت أعرف ذلك. سؤال آخر. خبرينى بصراحة: أترغبين فى أن يكون لديك زوج شاب؟

يلينا أندرييفنا: يالك من فتاة صغيرة بعد. طبعًا أرغب! **(تضحك)** حسنًا، اسألى أيضًا، اسألى..

ســـونـــيـــا: هل يعجبك الدكتور؟

يلينا أندرييفنا: نعم، جدًا.

ســـونـــيـــا: **(تضحك)** وجهى أحمق.. أليس كذلك؟ ها هو قد مضى وما زلت أسمع صوته وخطواته، وأنظر إلى النافذة المظلمة فأتخيل وجهه هناك. دعينى أفصح.. ولكنى لا أستطيع أن أتحدث هكذا علانية، أشعر بالخجل. فلنذهب إلى غرفتى ونتحدث هناك. هل أبدو لك حمقاء؟ اعترفى.. قولى لى عنه أى شىء..

يلينا أندرييفنا: وماذا أقول؟

ســـونـــيـــا: إنه ذكى.. إنه يجيد كل شىء.. يقدر على كل شىء.. إنه يعالج، ويغرس الغابات..

يلينا أندرييفنا: ليست القضية فى الغابات أو فى الطب.. لتفهمى يا عزيزتى، إنه موهبة! فهل تعرفين ماذا تعنى الموهبة؟ الجرأة، العقل الحر، السعة والشمول.. إنه يغرس الشجرة ويخمن ما الذى سينتج عن ذلك بعد ألف سنة، وتلوح لعينيه سعادة البشرية القادمة. أمثال هؤلاء الأشخاص نادرون وينبغى أن نحبهم.. إنه يشرب، ويتصرف أحيانًا بخشونة، فأى بأس فى ذلك؟ الإنسان الموهوب فى روسيا لا يمكن أن يكون طاهر الذيل، هلا فكرت فى الحياة التى يحياها هذا الدكتور! الأوحال الكثيفة فى الطرقات، والزمهرير والعواصف الثلجية، والمسافات الهائلة، والناس الأفظاظ، المتوحشون، والفقر والأمراض فى

كل مكان، وفى مثل هذا الوضع فمن الصعب على من يعمل ويصارع يوما بعد يوم أن يحافظ على نفسه طاهرًا ومفيقًا حتى الأربعين.. **(تقبلها)** من كل قلبى أتمنى لك السعادة أنت جديرة بها.. **(تنهض)** أما أنا فشخصية ثقيلة الدم، ثانوية.. فى الموسيقى، وفى منزل زوجى، وفى جميع المغامرات، أى باختصار فى كل مكان لم أكن سوى شخصية ثانوية. فى الواقع يا سونيا، إذا أمعنا النظر، أنا تعيسة جدًا، جدًا! **(تخطو على الخشبة فى انفعال)** لن أجد السعادة فى هذه الدنيا. كلا! مالك تضحكين؟

ســـونـــيـــا: **(تضحك، تغطى وجهها)** كم أنا سعيدة.. سعيدة!

يلينا أندرييفنا: أريد أن أعزف.. بوسعى أن أعزف الآن شيئًا ما.

ســـونـــيـــا: اعزفى. **(تعانقها)** أنا لا أستطيع أن أنام.. اعزفى!

يلينا أندرييفنا: حالًا. أبوك مستيقظ. عندما يكون مريضًا تزعجه الموسيقى. اذهبى واسأليه. إذا لم يمانع فسأعزف. اذهبى.

ســـونـــيـــا: حالًا. **(تنصرف)**

(الحارس يدق فى البستان)

يلينا أندرييفنا: لم أعزف من زمن طويل. سأعزف وأبكى، سأبكى كحمقاء **(فى النافذة)** أهو أنت الذى يدق يا يفيم؟

صوت الحارس: أنـــا!

يلينا أندرييفنا: لا تدق، السيد مريض.

صوت الحارس: سأنصرف حالا! **(يصفر مناديًا الكلاب)** يا جوتشكا!
يا مالتشيك! يا جوتشكا!

(صمت)

سونيا: **(تعود)** ممنوع!

(ستار)

الفصل الثالث

(غرفة الجلوس فى منزل سيريبرياكوف. ثلاثة أبواب: إلى اليمين وإلى اليسار وفى الوسط. الوقت نهار، فوينيتسكى وسونيا جالسان ويلينا أندرييفنا تذرع الخشبة وهى تفكر فى شىء ما)

فوينيتسكى: تفضل الهر بروفيسور بإبداء رغبته فى أن نجتمع كلنا اليوم فى هذه الغرفة فى الساعة الواحدة. **(يتطلع إلى الساعة)** الواحدة إلا ربعا. يريد أن يطلع العالم على شىء ما.

يلينا أندرييفنا: فى الغالب يريدكم لعمل ما.

فوينيتسكى: ليس لديه أية أعمال. يكتب هراء، يتأفف ويغار ولا شىء أكثر،

سونيا: **(بنبرة لوم)** يا خالى!

فوينيتسكى: حسنا، آسف، آسف. **(يشير إلى يلينا أندرييفنا)** تفضلوا، انظروا إليها، تترنح من الكسل. جميل جدًا! جدا!

يلينا أندرييفنا: طول النهار تطن وتطن، ألا تمل ذلك! **(بأسى)** أكاد أموت من الملل، ولا أعرف ماذا علىَّ أن أفعل.

ســـونـــيـــا: **(تهز كتفيها)** وهل الأعمال قليلة؟ لو فقط تشائين.

يلينا أندرييفنا: مثلا؟

ســـونـــيـــا: زاولى الشئون المنزلية، علمى، عالجى. الأعمال كثيرة. قبل أن تأتى مع بابا إلى هنا كنا أنا وخالى فانيا نذهب إلى السوق ونبيع الطحين.

يلينا أندرييفنا: لا أجيد ذلك. ثم إنه غير شيق. فى الروايات المثالية فقط يعلمون الفلاحين ويعالجونهم، فكيف أذهب أنا فجأة، هكذا دون مقدمات، وآخذ فى تعليمهم ومعالجتهم؟

ســـونـــيـــا: أما أنا فلا أفهم كيف لا نذهب إليهم ولا نعلمهم. مهلا، أنت أيضا ستتعودين. **(تعانقها)** لا تضجرى يا حبيبتى. **(تضحك)** أنت تضجرين ولا تعرفين ماذا تفعلين، بينما الضجر والفراغ معديان. انظرى، ها هو خالى فانيا لا يفعل شيئًا، اللهم إلا أن يسير خلفك كظلك، وأنا تركت أعمالى وهرعت إليك لأتحدث معك. أوه، كم أصبحت كسولة! فى السابق كان الدكتور ميخائيل لفوفتش لا يزورنا إلا نادرا جدا، مرة فى الشهر، وكان من الصعب استمالته، أما الآن فيأتى كل يوم، وأهمل غاباته وطبه. يبدو أنك ساحرة.

فـــوينيتســكى: لماذا الضنى؟ **(بحيوية)** هيا أيتها الغالية، أيتها النفيسة، كونى عاقلة! فى عروقك تجرى دماء جنية البحر، فلتكونى جنية بحر! أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى

العمر، اغرقى فى حب أحد ساكنى مملكة البحر بسرعة، واقفزى فى الغدير وغوصى قبل أن يتمكن الهر بروفيسور ومعه نحن كلنا من إبداء دهشتنا!

يلينا أندرييفنا: **(بغضب)** دعنى وشأنى! يا للقسوة! **(تهم بالذهاب)**

فـوينيتســكى: **(يعترض سبيلها)** طيب، طيب، يا حياتى، سامحينى.. أعتذر **(يقبل يدها)** سماح..

يلينا أندرييفنا: حتى الملائكة ينفد صبرها، صدقنى.

فـوينيتســكى: رمزا للسلام والوفاق سآتيك الآن بباقة ورد. منذ الصباح أعددتها لك.. ورود الخريف ساحرة.. ورود حزينة..

(ينصرف)

ســـونـــيـــا: ورود الخريف ساحرة.. ورود حزينة..

(كلتاهما تتطلعان من النافذة)

يلينا أندرييفنا: ها هو سبتمبر قد جاء. يا ترى، كيف سنمضى الشتاء هنا!

(صمت)

أين الدكتور؟

ســـونـــيـــا: فى غرفة خالى فانيا. يكتب شيئا ما. أنا سعيدة إن خالى فانيا ذهب، أريد أن أتحدث معك.

يلينا أندرييفنا: عم؟

ســـونـــيـــا: عم؟ **(تضع رأسها على صدرها)**

يلينا أندرييفنا: حسنا، كفى، كفى.. **(تمسد شعرها)** كفى

سـونـيـا: أنا قبيحة.

يلينا أندرييفنا: لديك شعر رائع.

سـونـيـا: كلا! **(تدير رأسها لتتطلع إلى نفسها فى المرآة)** كلا! عندما تكون المرأة قبيحة يقولون لها: «لديك عينان رائعتان، لديك شعر رائع».. أنا أحبه منذ ست سنوات، أحبه أكثر من حبى لأمى. فى كل لحظة أسمعه، أحس بمصافحة يده، وأنظر إلى الباب منتظرة، ويخيل إلىَّ أنه سيدخل الآن. وها أنا ذا، كما ترين، آتى إليك دائما لأتحدث عنه. إنـه الآن يزورنـا كل يـوم، لكنه لا ينظر إلىَّ، لا يرانى.. يا له من عذاب! ليس لدىَّ أى أمل، أبدا، أبدا! **(فى يأس)** يا إلهى، هبنى القوة.. ظللت أصلى طوال الليل.. كثيرا ما أقترب منه، وأبدأ فى الحديث معه، وأحدق فى عينيه.. أصبحت أدوس على كرامتى، ولا حول بى للسيطرة على نفسى.. بالأمس لم أسيطر على نفسى واعترفت لخالى فانيا بحبى.. الخدم كلهم يعرفون أننى أحبه. الجميع يعرفون.

يلينا أندرييفنا: وهو؟

سـونـيـا: كلا، إنه لا يحس بوجودى.

يلينا أندرييفنا: **(بتفكير)** إنه شخص غريب.. اسمعى. دعينى أتحدث معه.. بحذر، تلميحا..

(صمت)

بالفعل، إلى متى تظلين فى المجهول.. اسمحى لى!

(سونيا تهز رأسها موافقة)

رائع. ليس من الصعب معرفة إن كان يحب أم لا. لا تخجلى يا صغيرتى، اطمئنى، سأسأله بحذر، ولن يلحظ. كل ما نريد أن نعرفه: نعم أم لا؟

(صمت)

فإذا كان لا، فلا داعى لمجيئه إلى هنا، هكذا؟

(سونيا تهز رأسها موافقة)

من الأسهل التحمل عندما لا ترينه. لن نؤجل الأمر طويلا، سنسأله حالا. لقد كان ينوى أن يطلعنى على بعض الرسومات الهندسية.. اذهبى وخبريه بأننى أريد أن أراه.

سـونـيـا: **(فى انفعال شديد)** ستخبريننى بالحقيقة؟

يلينا أندرييفنا: نعم، بالطبع. أعتقد أن الحقيقة، مهما كانت، ليست مع ذلك فظيعة كالمجهول. اعتمدى علىَّ يا صغيرتى.

سـونـيـا: نعم، نعم.. سأقول له إنك تريدين رؤية الرسوم **(تذهب ثم تتوقف عند الباب)** كلا، المجهول أفضل.. فيه أمل على الأقل..

يلينا أندرييفنا: ماذا بك؟

سـونـيـا: لا شىء **(تنصرف)**

يلينا أندرييفنا: **(وحدها)** ليس هناك ما هو أسوأ من أن تعرف سر

الآخرين دون أن تستطيع مساعدتهم. **(متفكرة)** إنه لا يحبها، هذا واضح، ولكن لماذا لا يتزوجها؟ إنها ليست جميلة، ولكن لطبيب ريفى، وفى مثل سنة، قد تكون زوجة رائعة. ذكية، طيبة، نقية.. كلا، ليس الأمر كذلك، ليس كذلك..

(صمت)

إننى أفهم هذه البنية المسكينة. فوسط هذا الضجر الفظيع، عندما تهوِّم بدلا من الناس بقع ما رمادية، ولا يسمع غير العبارات المبتذلة، ولا يعرف الناس شيئًا سوى أن يأكلوا، ويشربوا وينامو ا، يأتى هو أحيانا، لا يشبه الآخرين فى شىء، جميلا، شيقا، جذابا، فكأنما أشرق البدر الساطع وسط الظلام.. من هنا الرغبة فى الانجذاب إلى شخص كهذا، ونسيان كل شىء.. يبدو أننى أنا أيضا أغرمت به قليلا. نعم إننى أشعر بالضجر بدونه، وها أنذا أبتسم عندما أفكر فيه.. هذا الخال فانيا يدعى أن فى عروقى تجرى دماء جنية البحر.. «أطلقى لحريتك العنان ولو مرة فى العمر».. وماذا؟ ربما كان ذلك هو المطلوب.. أنا أطير كطائر طليق بعيدا عنكم جميعـا، بعيدا عن سحناتكم النعسانة، عن أحاديثكم، أن أنسى أنكم موجودون فى الدنيا.. لكنى جبانة، خجول.. سيعذبنى ضميرى.. ها هو يأتى إلى هنا كل يوم، وأنا أخمن لماذا يأتى، فأصبحت أشعر بالذنب، ومستعدة أن أركع أمام سونيا، وأسألها الصفح، وأبكى..

أســــــتروف: **(يدخل ومعه رسومات)** نهارك سعيد! **(يصافحها)** هل أردت أن تشاهدى تصاويرى؟

يلينا أندرييفنا: بالأمس وعدتنى أن تطلعنى على أعمالك.. هل لديك وقت؟

أســــــتروف: أوه، بالطبع **(يفرش الخريطة على طاولة لعب الورق ويثبتها بالدبابيس)** أين ولدت؟

يلينا أندرييفنا: **(وهى تساعده)** فى بطرسبرج.

أســــــتروف: وأين تعلمت؟

يلينا أندرييفنا: فى الكونسرفتوار.

أســــــتروف: فى الغالب لن يكون هذا ممتعا لك.

يلينا أندرييفنا: ولم لا؟ صحيح أنا لا أعرف الريف، ولكنى قرأت عنه الكثير.

أســــــتروف: فى هذا المنزل توجد طاولة لى.. فى غرفة إيفان بتروفتش. عندما يهدنى التعب تماما، إلى درجة التبلد الكامل، أهجر كل شىء وأركض إلى هنا، وأتسلى بهذه اللعبة بضع ساعات.. إيفان بتروفتش وصوفيا ألكسندروفنا يدحرجان بكرات العداد الخشبى، وأجلس أنا بجوارهما خلف طاولتى وألون.. فأشعر بالدفء، والسكينة، وصرَّار الليل يئز. ولكنى لا أسمح لنفسى بهذه المتعة كثيرا، مرة فى الشهر.. **(يشير إلى الخريطة)** والآن فلتنظرى هنا. هذه صورة إقليمنا كما كان منذ ٥٠ عاما.

اللون الأخضر القاتم والفاتح يعنى الغابات. نصف المساحة الكلية مغطاة بالغابات. والمربعات الحمراء الصغيرة داخل اللون الأخضر تشير إلى أماكن تواجد الوعول والماعز.. إننى أبين هنا العالم النباتى والحيوانى. وفى هذه البحيرة كان يعيش البجع والأوز والبط، وكما يقول العجائز، كان الطير هنا لا أول له ولا آخر، كان يطير كالغمام. وكما ترين، بالإضافة إلى القرى والضياع تتناثر هنا وهناك الدور والبيوت المنفردة وصوامع طائفة المنشقين، وطواحين الماء.. كانت الماشية والخيول كثيرة. يبدو ذلك من اللون الأزرق. مثلا، فى هذه المحافظة ترين اللون الأزرق سميكا، إذ كانت هنا قطعان كبيرة من الخيول، وكان متوسط عدد الخيول فى كل منزل ثلاثة.

(صمت)

فلننظر الآن أسفل قليلا. هذا ما كان منذ ٢٥ عاما. لم تعد الغابات تغطى سوى ثلث المساحة. الماعز اختفى ولكن الوعول ما زالت موجودة. اللون الأخضر والأزرق أصبحا خفيفين وهلم جرا.. فلننتقل إلى القسم الثالث: صورة الإقليم الراهنة. اللون الأخضر متناثر هنا وهناك على شكل بقع، وليس متصلا. اختفت الوعول والبجع ودجاج الغابة.. ولم يبق أثر للدور والبيوت المتناثرة وصوامع المنشقين وطواحين الماء. باختصار، ترين صورة للانحلال التدريجى المؤكد، الذى لم يبق أمامه فى الغالب

سوى ١٠ ـ ١٥ سنة ليصبح تاما. ستقولين إن ذلك من تأثير الحضارة، وإن الحياة القديمة من الطبيعى أن تتخلى عن مكانها للجديدة. نعم، إننى أدرك أنه لو مدت فى مكان هذه الغابات المبادة طرق السيارات والسكك الحديدية، ولو قامت هنا المصانع والفبارك والمدارس، لأصبح الشعب أصح وأغنى وأذكى، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث! فى الإقليم نفس المستنقعات القديمة، والبعوض، انعدام الطرق، والفقر، والتيفوس والدفتيريا، والحرائق.. إننا أمام انحلال نتيجة الصراع القاسى من أجل الوجود، انحلال بسبب التخلف والجهل، بسبب الغياب التام للوعى الذاتى، عندما ينقض الإنسان المقرور، الجائع، المريض، فى محاولة منه لإنقاذ بقية حياته، ولحماية أبنائه، بصورة غريزية، لا واعية على كل ما يمكن أن يسد رمقه ويدفئ بدنه، فيقضى على كل شىء دون أن يفكر فى الغد.. لقد قضى على كل شىء تقريبا، ولكن لم يخلق أى شىء بديل. (ببرود) أرى فى وجهك أن هذا لا يثير اهتمامك.

يلينا أندرييفنا: ولكنى لا أفهم فى هذا كثيرا..

أستروف: ليس هنا ما يستعصى على الفهم، أنت ببساطة لا تهتمين.

يلينا أندرييفنا: بصراحة فكرى مشغول بشىء آخر. اعذرنى. أريد

أن أجرى معك استجوابا صغيرا، ولكنى محرجة، ولا أعرف كيف أبدأ.

أســــتروف: استجواب؟

يلينا أندرييفنا: نعم، استجواب، ولكن.. برىء جدا. لنجلس!

(يجلسان)

المسألة تتعلق بإحدى الآنسات. سنتحدث كأناس شرفاء، كأصدقاء، دون لف ودوران. سنتحدث ثم ننسى الأمر. حسنا؟

أســــتروف: حسنا.

يلينا أندرييفنا: المسألة تتعلق بابنة زوجى، سونيا. هل تعجبك؟

أســــتروف: نعم، إننى أحترمها.

يلينا أندرييفنا: هل تعجبك كامرأة؟

أســــتروف: **(بعد برهة)** كلا.

يلينا أندرييفنا: بضع كلمات أخرى وننتهى. ألم تلاحظ شيئا؟

أســــتروف: كلا.

يلينا أندرييفنا: **(تمسك بيده)** أنت لا تحبها، أرى ذلك فى عينيك.. إنها تعانى.. فلتفهم هذا و.. كف عن المجىء إلى هنا.

أســــتروف: **(ناهضا)** زمانى قد ولَّى.. كما أنى مشغول.. **(يهز كتفيه)** لا وقت لدىَّ **(يبدو عليه الارتباك)**

يلينا أندرييفنا: أف، يا له من حديث كريه! أشعر بالاضطراب، وكأنى حملت على ظهرى ألف بود. الحمد لله انتهينا. فلننس

ذلك كأنها لم يكن و.. وارحل عن هنا. أنت رجل ذكى، تفهم..

(صمت)

وجهى قد احمر تماما..

أســـــتروف: لو قلت لى قبل شهر أو شهرين لربما فكرت قليلا، أما الآن.. **(يهز كتفيه)** وإذا كانت تعانى فبالطبع.. الشيء الوحيد الذى لا أفهمه هو: ما حاجتك إلى هذا الاستجواب؟ **(يحدق فى عينيها ويهددها بإصبعه)** أنت ماكرة!

يلينا أندرييفنا: ما معنى هذا؟

أســـــتروف: **(ضاحكا)** ماكرة! لنفرض أن سونيا تعانى، مستعد لتصديقك عن طيب خاطر، ولكن ما معنى استجوابك هذا؟ **(يحول بينها وبين الكلام، يقول بحماس)** أرجوك، لا ترسمى الدهشة على وجهك، فأنت تعرفين جيدا لماذا آتى إلى هنا كل يوم.. أنت تعرفين حق المعرفة ولأجل من آتى إلى هنا.. أيتها المتوحشة اللطيفة، لا تنظرى إلىَّ هكذا، فأنا غراب عجوز..

يلينا أندرييفنا: **(باستغراب)** متوحشة؟ لا أفهم شيئا.

أســـــتروف: نمسة جميلة ناعمة.. أنت بحاجة إلى ضحايا! ها أنذا طوال شهر كامل لا أعمل شيئا، هجرت كل شيء، وأبحث عنك بنهم.. وهذا يعجبك جدا، جدا.. فماذا بعد؟ إننى

مهزوم، وكنت تعرفين ذلك حتى قبل الاستجواب.
(يعقد ذراعيه على صدره وينكس رأسه) سمعا وطاعة.
خذى، كلينى!

يلينا أندرييفنا: لقد جننت!

أســـــتروف: **(يضحك من بين أسنانه)** أنت خجول..

يلينا أندرييفنا: أوه، أنا أفضل وأسمى مما تظن! أقسم لك! **(تهم بالانصراف)**

أســـــتروف: **(يعترض سبيلها)** سأرحل اليوم، ولن آتى إلى هنا، ولكن.. **(يمسك يدها ويتلفت حوله)** أين سنلتقى؟ قولى بسرعة: أين قد يدخل أحدهم إلى هنا، قولى بسرعة.. **(بشهوة)** كم أنت رائعة، فاخرة.. قبلة واحدة.. أقبل فقط شعرك العطر..

يلينا أندرييفنا: أقسم لك..

أســـــتروف: **(يعوقها عن الكلام)** لماذا القسم؟ لا داعى للقسم. لا داعى لمزيد من الكلمات.. أوه، يالك من جميلة! يا لهما من يدين! **(يقبل يديها)**

يلينا أندرييفنا: كفاك هذا.. اخرج **(تسحب يديها)** لقد تماديت.

أســـــتروف: قولى، قولى إذن، متى سنلتقى غدا؟ **(يطوق خصرها)** هذا محتم كما ترين، لا بد أن نلتقى. **(يقبلها. فى هذه الأثناء يدخل فوينتيسكى بباقة ورود فيقف عند الباب)**

يلينا أندريفنا: **(لا ترى فـوينيتسكى)** ارحمنى.. دعنى.. **(تضع رأسها على صدر أستروف)** كلا! **(تهم بالانصراف)**

أســـــتروف: **(يتشبث بخصرها)** تعالى غدا إلى الغابة.. فى حوالى الثانية.. حسنا؟ ستأتين؟

يلينا أندرييفنا: **(ترى فـوينيتســكى)** دعنى! **(تبتعد نحو النافذة فى حرج شديد)** هذا فظيع.

فـوينيتســكى: **(يضع الباقة على الكرسى. ينتابه الانفعال فيمسح وجهه وخلف الياقة بالمنديل)** لا بأس.. نعم.. لا بأس..

أســـــتروف: **(باستفزاز)** الطقس اليوم لا بأس به يا إيفان بتروفتش المبجل. فى الصباح كان الجو غائما، كأنما على وشك أن يمطر، أما الآن فالشمس ساطعة. وإذا شئت الصراحة فهذا الخريف رائع.. والمحصول لا بأس به. **(يطوى الخريطة على شكل أسطوانة)** لا عيب سوى شىء واحد: الأيام أصبحت قصيرة.. **(ينصرف)**

يلينا أندرييفنا: **(تقترب من فـوينيتســكى بسرعة)** فلتحاول، فلتستخدم كل نفوذك لكى أرحل مع زوجى من هنا اليوم بلا إبطاء! أتسمع؟ اليوم بلا إبطاء!

فـوينيتســكى: **(يمسح وجهه)** هـه؟ آه، نعـم.. حسـنا.. لقـد رأيت يا !Hélène كل شىء.. كل شىء..

يلينا أندرييفنا: **(بعصبية)** أتسمع؟ ينبغى أن أرحل من هنا اليوم بلا إبطاء!

(يدخل سيربرياكوف وسونيا وتيلجين ومارينا)

تـيـلـيـجـين: أنا نفسى يا صاحب المعالى لست على ما يرام. لليوم الثانى أشعر بالمرض.. رأسى مصدع..

سيريبرياكوف: أين الآخرون؟ لا أحب هذا البيت. مثل قصر التيه. ست وعشرون غرفة ضخمة، يتناثرون فيها فلا تستطيع أن تجد منهم أحدا. **(يدق الجرس)** ادعوا إلى هنا ماريا فاسيليفنا ويلينا أندرييفنا!

يلينا أندرييفنا: أنا هنا.

سيريبرياكوف: أرجو أن تجلسوا يا سادة.

سونيا: **(تقترب من يلينا أندرييفنا، تسأل بلهفة)** ماذا قال؟

يلينا أندرييفنا: فيما بعد.

سونيا: أنت ترتعشين؟ أنت منفعلة؟ **(تحدق فى وجهها بتمعن)** مفهوم.. قال إنه لن يأتى إلى هنا بعد.. نعم؟

(صمت)

قولى: نعم؟

(يلينا أندرييفنا تهز رأسها بالإيجاب)

سيريبرياكوف: **(لتيليجين)** يمكن للإنسان أن يتغاضى عن المرض، لا باس، لكن ما لا أقدر على هضمه فهو نظام الحياة الريفية. عندى إحساس بأننى هويت من الأرض على سطح كوكب آخر. اجلسوا يا سادة، أرجوكم. سونيا!

(سونيا لا تسمعه، تقف وقد نكست رأسها بحزن)

سونيا!

(صمت)

لا تسمع. (لمارينا) وأنت أيضا اجلسى يا دادة.

(المربية تجلس وتحوك جوربا)

أرجوكم يا سادة. علقوا، كما يقال، آذانكم على مسمار الانتباه. **(يضحك)**

فـويـنيتسـكي: **(بانفعال)** ربما لا حاجة إلى؟ يمكنني أن أذهب؟

سيريبرياكوف: كلا، نحن بحاجة إليك أكثر الجميع.

فـويـنيتسـكي: وما الذى تريدونه منى؟

سيريبرياكوف: لماذا تبدو غاضبا هكذا؟..

(صمت)

إذا كنت مخطئا فى حقك أرجوك المعذرة.

فـويـنيتسـكي: دعك من هذه اللهجة. فلندخل إلى الموضوع.. ما الذى تريده؟

(تدخل ماريا فاسيليفنا)

سيريبرياكوف: ها قد جاءت maman. إننى أبدأ يا سادة.

(صمت)

لقد دعوتكم أيها السادة لكى أبلغكم بأن مفتشا سيأتى إلينا[1]. لكن دعونا من المزاح. القضية جدية. لقد جمعتكم يا سادة لكى أطلب منكم العون والمشورة، ولما كنت على علم بكرمكم الدائم فإننى أطمع فى الحصول عليهما. أنا رجل عالم، أعيش مع الكتب وكنت دائما بعيدا عن الحياة العملية. ولا أستطيع أن أتصرف بدون تعليمات من الخبراء بالأمور، ولذا أرجوك يا إيفان

---

(١) العبارة من مسرحية جوجول «المفتش العام» المعرب.

بتروفتش، وأنت يا إيليا إيليتش، وأنت يا maman.. فالمسألة أن manet omnesuna nox [1]، أى أن أعمارنا جميعا بيد الله. فأنا عجوز، مريض، ولذلك أجد أنه قد حان الوقت لكى أنظم شئون الملكية الخاصة بى لأنها تتعلق بأسرتى. أنا حياتى انتهت، ولا أفكر فى نفسى، ولكن عندى زوجة شابة وابنة آنسة.

(صمت)

يستحيل علىّ مواصلة الحياة فى الريف. نحن لسنا مخلوقين للعيش فى الريف. أما الحياة فى المدينة على الموارد التى نحصل عليها من هذه الضيعة فمستحيلة. فإذا بعنا الغابة مثلا، فسيكون ذلك إجراء استثنائيا، لا يمكن اللجوء إليه كل عام. لا بد من البحث عن إجراءات تكفل لنا دخلا دائما، محددا بهذه الدرجة أو تلك وقد توصلت إلى إجراء كهذا وأتشرف بعرضه عليكم لمناقشته. سأشرحه لكم فى الخطوط العامة، دون الخوض فى التفاصيل. ضيعتنا لا تعطينا فى المتوسط أكثر من نسبة ٢٪. أقترح بيعها. فإذا حولنا النقود المتحصل عليها من البيع إلى أسهم فسنحصل على فائدة بنسبة من أربعة إلى خمسة فى المائة، بل وأعتقد أنه سيتبقى مبلغ إضافى يبلغ بضعة آلاف، يتيح لنا أن نشترى بيتا صيفيا صغيرا فى فنلندة.

---

(١) الكل تنتظرهم ليلة واحدة (باللاتينية).

فـو ينيتســكى: مهلا.. أظن أن سمعى خدعنى.. أعد ما قلته.

سيريبرياكوف: تحول النقود إلى أسهم، وبما يتبقى من المبلغ نشترى بيتا صيفيا فى فنلندة.

فـو ينيتســكى: ليس فنلندة.. لقد قلت أيضا شيئا آخر..

سيريبرياكوف: إننى أقترح بيع الضيعة.

فـو ينيتســكى: بالضبط هو هذا تبيع الضيعة، ممتاز، فكرة عظيمة.. وإلى أين تأمر بإرسالى أنا وأمى العجوز وسونيا؟

سيريبرياكوف: سنناقش كل هذا فى وقته. ليس كل شىء مرة واحدة.

فـو ينيتســكى: مهلا. يبدو أننى حتى الآن لم أتمتع بأى تفكير راجح. حتى الآن كنت أظن بغبائى أن هذه الضيعة ملك لسونيا. اشترى المرحوم أبى هذه الضيعة لتكون بائنة لأختى. الآن كنت ساذجا، كنت أفهم القوانين ليس على الطريقة التركية، فظننت أن الضيعة انتقلت من أختى إلى سونيا.

سيريبرياكوف: نعم، الضيعة ملك لسونيا. من ينكر؟ ولن أقدم على بيعها بدون موافقة سونيا. وعلاوة على ذلك فأنا أتقدم بهذا الاقتراح من أجل مصلحة سونيا.

فـو ينيتســكى: هذا غير معقول، غير معقول! إما أننى جننت، وإما... وإما..

ماريا فاسيليفنا: لا تعارض ألكسندر يا جان. ثق أنه يعرف أفضل منا ما هو الطيب وما هو السيئ.

فـو ينيتســكى: كلا، أعطونى ماء (**يشرب ماء**) قولو ما تشاءون، ما تشاءون!

سيريبرياكوف: لا أدرى ما يزعجك. أنا لا أدعى أن مشروعى مثالى. إذا اعتبره الجميع غير ملائم فلن أصر عليه.

(**صمت**)

تـيـلـيـجـين: (**مرتبكا**) إننى يا صاحب المعالى أكن للعلم لا مشاعر التبجيل فحسب، بل ومشاعر القرابة. أخو زوجة شقيقى جريجورى إيليتش، ربما تعرفونه، قسطنطين تروفيموفتش لا كيديمونوف، كان ماجستيرا..

فـو ينيتســكى: مهلا يا وفل، إننا نتحدث فى مسألة جدية.. انتظر، فيما بعد.. (**لسيريبريا كوف**) ها هو أمامك، فلتسأله. هذه الضيعة تم شراؤها من عمه.

سيريبرياكوف: آه، وما حاجتى لسؤاله؟ ما الداعى؟

فـو ينيتســكى: تم شراء هذه الضيعة فى ذلك الحين بمبلغ خمسة وتسعين ألف روبل. ولم يدفع أبى سوى سبعين ألفا. وبقى دين بخمسة وعشرين ألفا. فلتسمعوا إذن.. لو لم أتخل عن نصيبى من الميراث لصالح أختى التى أحببتها بحرارة، لما أمكن شراء هذه الضيعة. إننى عملت عشر سنوات كالبغل، حتى سددت هذا الدين كله..

سيريبرياكوف: إننى آسف على إثارتى لهذا الموضوع.

فـو ينيتســكى: الضيعة ليست مدينة ولم تتدهور أمورها فقط بفضل

مجهوداتى الشخصية. وعندما أصبحت عجوزا يريدون طردى من هنا شر طردة!

سيريبرياكوف: لا أفهم ماذا تبغى!

فـوينيتسـكى: خمسة وعشرون عاما وأنا أدير هذه الضيعة، وأعمل، وأرسل لك النقود، كخولى أمين، وطوال هذه المدة لم تشكرنى مرة واحدة. طوال الوقت ـ فى شبابى والآن ـ كنت أتقاضى منك راتبا خمسمائة روبل فى العام.. مبلغ تافه! ولم يخطر ببالك أبدا أن تزيد مرتبى ولو روبلا!

سيريبرياكوف: ومن أين لى أن أعرف يا إيفان بترفتش؟ أنا لست رجلا عمليا ولا أفهم شيئا. كان بوسعك أن تزيد مرتبك كما يحلو لك.

فـوينيتسـكى: لماذا لم أسرق؟ لماذا لا تحتقروننى كلكم لأننى لم أسرق؟ إذن لكان عدلا منكم، ولما كنت الآن شحاذا!

ماريا فاسيليفنا: **(بصرامة)** جان!

تـيـلـيـجـين: **(منفعلا)** فانيا، يا صديقى، لا داعى، لا داعى.. إننى أرتعـش.. لمـاذا تفسد العلاقة الطيبة؟ **(يقبله)** لا داعى.

فـوينيتسـكى: خمسة وعشرون عاما وأنا محبوس مع هذه الأم، بين أربعة جدران، كحيوان الخلد فى جحره.. كل أفكارنا ومشاعرنا كانت لك وحدك. فى النهار كنا نتحدث عنك، عن أعمالك.، ونفخر بك، ونذكر اسمك بالتبجيل. ونبدد

الليالى فى قراءة المجلات والكتب، التى أحتقرها الآن من أعماق قلبى!

تيليجين: لا داعى يا فانيا، لا داعى.. أنا لا أحتمل..

سيريبرياكوف: **(بغضب)** لا أفهم ماذا تريد؟

فوينيتسكى: كنت بالنسبة لنا مخلوقا ساميا، ومقالاتك كنا نحفظها عن ظهر قلب.. أما الآن فقد فتحت عينى! أرى كل شىء! تكتب عن الفن دون أن تفهم شيئا فى الفن! كل أعمالك، التى أحببتها لا تساوى خردة! أنت خدعتنا!

سيريبرياكوف: يا سادة! أسكتوه أرجوكم! إننى ذاهب!

يلينا أندرييفنا: إيفان بتروفتش، أطالبك بالسكوت! أتسمع؟

فوينيتسكى: لن أسكت! **(يسد الطريق على سيريبرياكوف)** قف، أنا لم أفرغ! أنت دمرت حياتى! أنا لم أعش، لم أعش! بسببك أهدرت أفضل سنوات عمرى، بددتها! أنت عدوى اللدود!

تيليجين: لا أستطيع، لا أستطيع.. سأذهب.. **(يخرج فى انفعال شديد)**.

سيريبرياكوف: ماذا تريد منى؟ وبأى حق تخاطبنى بهذه اللهجة؟ أيها التافه! إذا كانت الضيعة لك فخذها، لست محتاجا إليها!

يلينا أندرييفنا: سأرحل فورا من هذا الجحيم! **(تصرخ)** لا أستطيع أن أحتمل أكثر!

فـوينيتســكى: ضاعت حياتى! إننى موهوب، ذكى، شجاع.. لو عشت حياة طبيعية لربما أصبحت مثل شوبنهاور أو دوستويفسكى.. يا إلهى، ماذا أقول! إننى أجن.. أماه يا للضياع! أماه!

ماريا فاسيليفنا: **(بصرامة)** اسمع كلام ألكسندر!

ســونــيــا: **(تجثـو أمـام المربية على ركبتيها وتلتصق بها)** يا دادة! يا دادة!

فـوينيتســكى: أماه! ماذا أفعل؟ لا داعى، لا تقولى! أنا أعرف ما ينبغى عمله! **(لسيريبرياكوف)** سوف تذكرنى! **(يخرج من الباب الأوسط)**

(ماريا فاسيليفنا تتبعه)

سيريبرياكوف: ما هذا كله يا سادة؟ أبعدوا عنى هذا المجنون! لا أستطيع أن أعيش معه تحت سقف واحد! يعيش هنا **(يشير إلى الباب الأوسط)** بجوارى تقريبا.. فلينتقل إلى القرية، أو إلى الجناح الملحق، أو أنتقل أنا من هنا، لكنى لا أستطيع أن أبقى معه فى بيت واحد..

يلينا أندرييفنا: **(لزوجها)** سنرحل من هنا اليوم! أصدر التعليمات الآن فـورا!

سيريبرياكوف: هذا التافه!

ســونــيــا: **(راكعة على ركبتيها، تلتفت إلى أبيها، تقول بعصبية، من خلال الدموع)** كن رحيما يا بابا! أنا وخالى فانيا جد

تعيسين! **(تكتم القنوط)** كن رحيما! رحيما! تذكر، عندما كنت أصغر سنا، كان خالى فانيا وجدتى يسهران الليالى فى ترجمة. الكتب لك ونسخ أوراقك.. طوال الليالى، طوال الليالى! وعملت أنا وخالى فانيا دون أن نذوق طعم الراحة، كنا نخشى أن ننفق على أنفسنا كوبيكا واحدا، ونرسل لك كل النقود.. لم نكن عالة! ليس هذا ما أريد أن أقوله، ليس هذا، ولكن افهمنا يا بابا. كن رحيما!

يلينا أندرييفنا: **(مضطربة، لزوجها)** ألكسندر، أرجوك، تفاهم معه.. أتوسل إليك.

سيريبرياكوف: حسنا، سأتفاهم معه.. أنا لا أتهمه بأى شىء لست غاضبا منه، ولكن سلوكه، أقل ما يوصف به أنه غريب. طيب، سأذهب إليه **(يخرج من الباب الأوسط)**

يلينا أندرييفنا: كن لطيفا معه.. هدئه.. **(تنصرف خلفه)**

سونيا: **(ملتصقة بمربيتها)** يا دادة! يا دادة!

مارينا: لا بأس يا بنيتى. سيتصايح الوز ثم يهدأ.. سيتصايح ثم يهدأ..

سونيا: يا دادة!

مارينا: **(تمسح على رأسها)** ترتعشين كأنك فى الصقيع! طيب، طيب يا مسكينة، الله رحيم. قليلا من شاى الزيزفون أو التوت البرى وينتهى هذا.. لا تحزنى يا مسكينة.. **(تنظر إلى الباب الأوسط وتقول بغضب)** انظر كيف هاجوا، ذكور الأوز، لتخطفكم الأبالسة!

(يسمع خلف المسرح صوت طلقة، ثم صرخة يلينا أندرييفنا، سونيا تتنفض) عليكم اللعنة!

سيريبرياكوف: **(يندفع داخلا وهو يترنح من الفزع)** أمسكوه! أمسكوه! لقد جنّ!

(يلينا أندرييفنا وفوينيتسكى يتصارعان فى الباب)

يلينا أندرييفنا: **(تحاول انتزاع المسدس منه)** هاته! قلت لك هاته!

فوينيتسكى: دعينى يا !Hélène دعينى! **(يتملص منها فيدخل راكضا وهو يبحث بعينيه عن سيريبرياكوف)** أين هو؟ آه، ها هو ذا! **(يطلق النار عليه)** خذ!

(صمت)

لم أصبه؟ أخطأت ثانية؟! بغضب آه، يا للشيطان، يا للشيطان..، فليخطفه الشيطان.. **(يقذف بالمسدس على الأرض ويرتمى على المقعد فى إعياء)**

(سيريبرياكوف مذهول. يلينا أندرييفنا تستند على الحائط، تشعر بدوار)

يلينا أندرييفنا: خذونى من هنا! خذونى، اقتلونى، ولكن.. لا أستطيع أن أبقى هنا، لا أستطيع!

فوينيتسكى: **(فى يأس)** أوه، ما الذى أفعله! ما الذى أفعله!

سونيا: **(بصوت خافت)** يا دادة! يا دادة!

(ستار)

الفصل الرابع

(غرفة إيفان بتروفتش. هنا غرفة نومه وكذلك مكتب إدارة الضيعة بجوار النافذة طاولة كبيرة عليها دفاتر حسابات وأوراق مختلفة، طاولة مكتب عالية، خزانات، ميزان. طاولة أصغر لأستروف. على هذا الطاولة معدات رسم وألوان، وبالقرب منها حافظة أوراق. قفص به زرزور. على الجدار خريطة إفريقيا، يبدو لا حاجة لأحد إليها هنا. كنبة ضخمة، منجدة بمشمع. إلى اليسار باب يفضى إلى الغرف الداخلية. إلى اليمين باب يفضى إلى المدخل. بجوار الباب الأيمن فرشت ممسحة أقدام لكى لا يوسخ الفلاحون المكان بأقدامهم. الوقت مساء خريفى. يسود السكون. تيليجين ومارينا يجلسان متقابلين ويلفان خيوط الصوف)

تيليجين: أسرعى يا مارينا تيموفييفنا وإلا سينادوننا الآن للتوديع. أمروا بإحضار العربة.

مارينا: **(تحاول اللف أسرع)** بقى القليل.

تيليجين: يسافرون على خاركوف. سيعيشون هناك.

مارينا: هذا أفضل.

تيليجين: ذعروا.. يلينا أندرييفنا تقول: «لا أريد البقاء هنا ساعة واحدة.. فلنرحل، فلنرحل..» تقول: «فلنعش فى خاركوف، وبعد أن نستقر، نرسل فى طلب المتاع..» يسافرون بلا متاع. وإذن يا مارينا تيموفييفنا فليس مقدرا لهم أن يعيشوا هنا. ليس مقدرا.. قضاء وقدر.

مارينا: هذا أفضل؟ ظهرًا أثاروا ضجة، وأطلقوا النار، يا للعار!

تيليجين: نعم، موضوع جدير بريشة آيفازوفسكى[1].

مارينا: ليت عيناى لم تريا.

(صمت)

سنعيش كما كنا نعيش من قبل. الشاى صباحا فى الثامنة، الغداء فى الواحدة، وفى المساء نجلس إلى العشاء. كل شىء بنظامه، مثل بقية البشر.. كما لدى المسيحيين **(تتنهد)** أستغفر الله، لم أذق الشعرية منذ زمن طويل.

تيليجين: نعم، من زمان لم نطبخ شعرية.

(صمت)

من زمان.. صباح اليوم يا مارينا تيموفييفنا، كنت مارا بالقرية، وإذا بالبقال يصيح بى: «إيه، أنت أيها العالة!» أوه، كم أحسست بالمرارة!

---

(١) إيفان آيفازوفسكى (١٨١٧ـ ١٩٠٠) مصور روسى اشتهر برسم مناظر البحر والمعارك البحرية. المعرب.

مـــاريـــنـــا: لا تهتم يا أخي. كلنا عالة على الرب. أنت، وسونيا، وإيفان بتروفتش، كلنا نعمل، لا أحد فينا يجلس بلا عمل... كلنا.. أين سونيا؟

تـيـلـيـجـين: فى البستان. طوال الوقت تتمشى مع الدكتور، تبحث عن إيفان بتروفتش. يخافان أن ينتحر.

مـــاريـــنـــا: وأين مسدسه؟

تـيـلـيـجـين: **(همسا)** أنا خبأته فى القبو!

مـــاريـــنـــا: **(بسخرية)** يا للذنوب!

(يدخل فـوينيتسكى وأستروف قادمين من الفناء)

فـوينيتســكى: دعنى. **(لمارينا وتيليجين)** اخرجا من هنا، اتركانى وحدى ولو ساعة! أنا لا أطيق الحماية.

تـيـلـيـجـين: حالا، يا فانيا. **(يخرج على أطراف أصابعه)**

مـــاريـــنـــا: ذكر وز: قا.. قا.. قا! **(تجمع الصوف وتخرج)**

فـوينيتســكى: دعنى!

أســـــتروف: بكل سرور، علىَّ أن أرحل عن هنا من زمان، ولكنى، أكرر، لن أرحل ما لم تعد لى ما أخذته منى.

فـوينيتســكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

أســـــتروف: أحدثك بجدية، لا تعطلنى، على أن أرحل من فترة طويلة.

فـوينيتســكى: أنا لم آخذ منك شيئا.

(يجلسان)

أســـــتروف: حقا؟ حسنا، سأنتظر قليلا، ثم سأضطر، مع الأسف، إلى استخدام القوة. سنوثقك ونفتشك. أقول لك ذلك بمنتهى الجدية.

فـوينيتســكى: كما تشاء

(صمت)

يا لها من حماقة.. أطلقت النار مرتين فلم أصبه ولو مرة! لن أغفر هذا لنفسى أبدا!

أســـــتروف: طالما رغبت فى إطلاق النار، كان الأولى أن تطلقه على رأسك أنت.

فـوينيتســكى: **(يهز كتفيه)** غريبة. شرعت فى القتل، ولكنهم لا يقبضون علىَّ، ولا يقدموننى للمحاكمة. إذن يعتبروننى مجنونا. **(يضحك ضحكا مغيظا)** أنا المجنون، وليس أولئك الذين يخفون تحت قشرة الأستاذ والعالم العلامة تفاهتهم وبلادتهم، وقسوة قلوبهم الخارقة. ليس المجانين أولئك اللائى يتزوجن العجائز ثم يخدعنهم علانية. لقد رأيت، رأيتك وأنت تعانقها!

أســـــتروف: نعم، عانقتها، أما أنت فمت بغيظك! **(يخرج له لسانه)**

فـوينيتســكى: **(ناظرا إلى الباب)** كلا، المجنونة هى الأرض، التى ما زالت تحملكم!

أســـــتروف: هذه حماقة.

فـوينيتســكى: فليكن، أنا مجنون، معتوه، من حقى أن أتفوه بحماقات.

أســــــتروف: لعبة قديمة. أنت لست مجنونا، بل مجرد شخص غريب الأطوار. مهرج أخرق. من قبل كنت أعتبر كل شخص غريب الأطوار شخصا مريضا، غير طبيعى، أما الآن فأعتبر أن الحالة الطبيعية للإنسان أن يكون غريب الأطوار. أنت طبيعى تماما.

فـو ينيتســكى: **(يغطى وجهه بيديه)** يا للخجل! يا للعار! لو تدرى كم أشعر بالخزى! هذا الإحساس الحاد بالخزى لا يمكن أن يقارن بأى ألم **(بأسى)** هذا فظيع! **(ينحنى على الطاولة)** ما العمل؟ ما العمل؟

أســــــتروف: لا شىء

فـو ينيتســكى: أعطنى أى شىء! أوه يا إلهى.. أنا فى السابعة والأربعين. لو افترضنا أننى سأعيش إلى الستين، إذن يبقى لى ثلاثة عشر عاما. مدة طويلة! كيف سأعيش هذه الأعوام الثلاثة عشر؟ ماذا سأفعل؟ بِمَ املؤها؟ أوه، أتدرى.. **(يعصر يد أستروف بتوتر)** أتدرى، لو أمكن أن أعيش بقية حياتى بطريقة جديدة. أن تستيقظ ذات صباح صحو هادئ فتشعر أنك بدأت تعيش بطريقة جديدة، وكل الماضى قد نسى، تبدد كالدخان. **(يبكى)** أن أبدأ حياة جديدة.. قل لى، كيف أبدأ.. مم أبدأ..؟

أســــــتروف: **(بأسى)** إيه، تبا لك! عن أية حياة جديدة تتحدث! حالتنا، حالتك وحالتى، ميئوس منها.

فـو ينيتسـكى: حقا؟

أســـتروف: أنا واثق من ذلك.

فـو ينيتسـكى: أعطنى شيئا ما.. **(يشير إلى قلبه)** هنا يحرقنى.

أســـتروف: **(يصرخ بغضب)** كفى! **(يهدأ)** أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتى عام سوف يحتقروننا، لأننا عشنا حياتنا بهذه الصورة الحمقاء، بهذه الفجاجة. وربما وجد هؤلاء القادمون وسيلة لجعل الإنسان سعيدًا، أما نحن.. ليس لديك أو لدىَّ شىء سوى الأمل. الأمل بأن تزورنا الرؤى عندما نهجع فى التابوت، بل وربما الرؤى السارة. **(متنهدا)** نعم يا أخى. فى الناحية كلها لم يكن هناك سوى شخصين محترمين مثقفين: أنا وأنت. ولكن خلال عشر سنوات فقط أغرقتنا الحياة الضيقة الأفق، الحياة المزرية فى أوحالها. سممت دماءنا بأبخرتها العفنة، فأصبحنا مبتذلين مثل الآخرين. **(بحيوية)** ولكن دعك من محاولة صرف نظرى. هات ما أخذته منى.

فـو ينيتسـكى: لم آخذ منك شيئا.

أســـتروف: بل أخذت من صيدليتى المحمولة علبة مورفين.

(صمت)

اسمع، إذا كنت تريد حتما أن تنتحر فاذهب إلى الغابة، وأطلق على نفسك النار هناك. أما المورفين فهاته، وإلا فستنتشر الأقاويل والتلميحات، وقد يظن أحد أننى أنا الذى أعطيته لك.. يكفينى أننى سأضطر إلى تشريح جثتك.. أتظن ذلك ممتعا؟

(تدخل سونيا)

فـوينيتســكى: دعنى وشأنى.

أســـــتروف: **(لسونيا)** صوفيا ألكسندروفنا، خالك أخذ من صيدليتى علبة مورفين ولا يريد إرجاعها. قولى له إن هذا.. ليس من الحكمة عموما. ثم إنه لا وقت لدىَّ. حان أن أرحل.

ســـونـــيـــا: يا خالى فانيا، هل أخذت المورفين؟

(صمت)

أســـــتروف: لقد أخذه. أنا واثق من ذلك.

ســـونـــيـــا: هاته. لماذا تخيفنا؟ **(برقة)** هات يا خالى فانيا! ربما كنت أنا أتعس منك، لكننى لا أيأس. إننى أصبر، وسوف أصبر إلى أن تنتهى حياتى نهايتها الطبيعية.. فاصبر أنت أيضا.

(صمت)

هاته! تقبل **(يديه)** يا خالى الحبيب، أيها الغالى، أيها العزيز، هاته! **(تبكى)** أنت طيب، ستشفق علينا وستعطيه لنا. اصبر يا خالى، اصبر!

فـوينيتســكى: **(يخرج العلبة من درج المكتب ويعطيها لأستروف)** ها هو، خذه! **(لسونيا)** ولكن ينبغى أن أعمل بسرعة، أن أعمل شيئا ما بسرعة، وإلا فإننى لا أستطيع.. لا أستطيع..

سونيا: نعم، نعم، سنعمل. ما إن نودعهم حتى نجلس لنعمل.. **(تقلب الأوراق على المكتب بعصبية)** أعمالنا أهملت تماما.

أستروف: **(يضع العلبة فى الصيدلية ويربط الأحزمة)** الآن يمكننى أن أرحل.

يلينا أندرييفنا: **(تدخل)** إيفان بتروفتش، أنت هنا؟ سنرحل الآن. اذهب إلى ألكسندر، يريد أن يقول لك شيئا.

سونيا: اذهب، اذهب يا خالى فانيا. **(تتأبط ذراعه)** هيا بنا. أنت وبابا ينبغى أن تتصالحا. هذا ضرورى.

(تنصرف سونيا وفوينيتسكى)

يلينا أندرييفنا: إننى راحلة **(تمد يدها لأستروف)** وداعا.

أستروف: هكذا سريعا؟

يلينا أندرييفنا: العربة جاهزة.

أستروف: وداعا.

يلينا أندرييفنا: لقد وعدتنى اليوم أنك سترحل عن هنا.

أستروف: إننى أذكر سأرحل حالا.

(صمت)

فزعت؟ **(يمسك بيدها)** هل هذا مخيف هكذا؟

يلينا أندرييفنا: نعم.

أستروف: هلا بقيت، هه؟ غدا فى الغابة..

يلينا أندرييفنا: كلا.. انتهى الأمر.. إنما أنظر إليك بهذه الجرأة لأن السفر

قد تقرر.. كل ما أرجوه منك شيء واحد: لتكن فكرتك عني أفضل. أود أن تحترمني.

أســــتروف: إيه! **(إشارة ضيق)** ابقى هنا أرجوك. فلتعترفي بأنه ليس لديك ما تفعلينه في هذه الدنيا، ليس لديك أي هدف في الحياة، ولن تجدي ما تشغلين به اهتمامك، وعاجلا أم آجلا ستستسلمين للأحاسيس، هذا محتم. وإذن فمن الأفضل ألا يكون ذلك في خاركوف، أو كورسك، بل هنا، في أحضان الطبيعة.. جو شاعري على الأقل، حتى الخريف جميل.. هنا يوجد غابة، ودور نصف مهدمة، على ذوق تورجينيف..

يلينا اندرييفنا: كم أنت مضحك.. إنني غاضبة منك، ومع ذلك.. سوف أتذكرك بكل سرور. أنت إنسان طريف، فريد. لن نلتقي بعد الآن أبدا، ولذلك فما الداعي لأن أخبئ؟ إنني قد همت بك قليلا. حسنا، فلنتصافح ولنفترق كأصدقاء. لا تذكرني بسوء.

أســــتروف: **(بعد أن صافحها)** نعم، فلتسافري.. **(متفكرا)** تبدين إنسانا طيبا، عطوفا، ومع ذلك يبدو وكأن هناك شيئا غريبا في جوهرك. ها أنت قد جئت إلى هنا مع زوجك، فكان على كل من يعمل هنا، كل من ينقب، ويخلق شيئا ما، أن يهجروا أعمالهم ويشغلوا أنفسهم طوال الصيف فقط بنقرس زوجك وبك. كلاكما ـ هو وأنت ـ نقلتما

إلينا جميعا عدوى فراغكما. أنا همت بك، ولم أفعل شيئا طوال شهر، وفى تلك الأثناء مرض الناس، وفى غاباتى ومشاتلى رعى الفلاحون مواشيهم.. وهكذا، فحيثما حللتما، أنت وزوجك، تحملان معكما الدمار.. إننى أمزح بالطبع، ولكن.. غريبة، إننى على يقين من أنك لو بقيت، فسيحل خراب هائل. ولهلكت أنا، وأنت أيضا.. ما كنت لتتجنبى البلاء. حسنا، سافرى Finita la comedia!.[1]

يلينا أندرييفنا: **(تأخذ قلما من على مكتبه وتخفيه بسرعة)** هذا القلم سآخذه للذكرى.

أستروف: شىء غريب.. كنا معارف وفجأة، لسبب ما..لن نلتقى بعد الآن أبدا.. هكذا حال الدنيا.. طالما نحن هنا وحدنا، وطالما لم يدخل الخال فانيا بعد بباقة أزهار اسمحى لى.. أن أقبلك.. قبلة الوداع.. حسنا؟ **(يقبلها فى خدها)** طيب.. هذا عظيم.

يلينا أندرييفنا: أرجو لك كل خير. **(تتلفت)** ليكن ما يكون، مرة فى العمر! **(تعانقه باندفاع، وعلى الفور يبتعد كل منهما عن الآخر بسرعة)** ينبغى أن أرحل.

أستروف: ارحلى بسرعة. إذا كانت العربة جاهزة فلترحلى.

يلينا أندرييفنا: يبدو أحدهم قادم

---

(١) انتهت التمثيلية (بالإيطالية).

(كلاهما يصيخان)

أســـــتروف: Finita

(يدخل سيريبرياكوف، وفـوينيتسكى، وماريا فاسيليفنا ومعها كتاب، وتيليجين وسونيا)

سيريبرياكوف: **(لفوينيتسكى)** فلتنزل اللعنة على رأس من يتذكر الماضى. بعدكل ما حدث، وفى هذه الساعات القليلة عانيت الكثير، وقلبت فى رأسى الكثير، حتى ليخيل إلىَّ أننى أستطيع كتابة بحث كامل كوصية للأحفاد عن كيف ينبغى أن نحيا. إننى أقبل اعتذارك بكل سرور، ومن جهتى أيضا أرجو المعذرة. وداعا! **(يتبادل القبل مع فـوينيتســكى ثلاث مرات)**

فـوينيتســكى: سوف تحصل بانتظام على ما كنت تحصل عليه سابقا. كل شىء سيكون كما كان.

(يلينا أندرييفنا تعانق سونيا)

سيريبرياكوف: **(يقبل يد ماريا فاسيليفنا)**. ...maman

ماريا فاسيليفنا: **(تقبله)** ألكسندر، تصور ثانية وأرسل لى صورتك. أنت تعلم كم أعزك.

تـيـلـيـجـين: الوداع يا صاحب المعالى! لا تنسونا!

سيريبرياكوف: **(بعد أن يقبل ابنته)** الوداع.. الوداع جميعا! **(يمد يده لأستروف)** أشكركم على صحبتكم اللطيفة.. إننى أحترم طريقة تفكيرك، واهتماماتك، وطموحاتك، ولكن

اسمح لى كعجوز أن أضمن تحية الوداع ملحوظة واحدة فقط: ينبغى القيام بعمل يا سادة! ينبغى القيام بعمل! **(انحناءة للجميع)** تمنياتى بالتوفيق! **(ينصرف، تتبعه ماريا فاسيليفنا وسونيا)**

فـوينيتسـكى: **(يقبل يد يلينا أندرييفنا بقوة)** الوداع.. سامحينى.. لن نرى بعضنا أبدا.

يلينا أندرييفنا: **(بتأثر)** الوداع يا عزيزى **(تقبله فى رأسه وتنصرف)**

أسـتروف: **(لتيليجين)** قل لهم يا وفل بأن يحضروا لى العربة أنا أيضا.

تـيـلـيـجـين: حاضر يا صديقى. **(ينصرف)**

(يبقى أستروف وفوينيتسكى فقط)

أسـتروف: **(يجمع الألوان من على المكتب ويودعها الحقيبة)** ماذا، ألن تخرج لوداعهم؟

فـوينيتسـكى: فليرحلوا، أما أنا.. أنا لا أستطيع، صعب على. ينبغى أن أشغل نفسى بشىء ما بسرعة.. أن أعمل، أن أعمل! **(يفتش فى الأوراق التى على الطاولة)**

(صمت. تسمع أجراس)

أسـتروف: رحلوا. لا بد أن الأستاذ سعيد لن تغريه أبدا بالمجىء إلى هنا مرة ثانية.

مـاريـنـا: **(تدخل)** رحلوا. **(تجلس فى المقعد وتحوك الجورب)**

ســـونـــيـــا: **(تدخل)** رحلوا. **(تمسح عينيها)** وفقهما الله. **(لخالها)** حسنا يا خالى فانيا، هيا نعمل شيئا ما.

فـوينيتســكى: إلى العمل، إلى العمل..

ســـونـــيـــا: من زمان، من زمان لم نجلس معا إلى هذه الطاولة **(تشعل المصباح على الطاولة)** يبدو لا يوجد حبر.. **(تأخذ المحبرة وتذهب إلى الصوان فتملأها حبرا)** أشعر بالحزن لأنهم رحلوا.

ماريا فاسيليفنا: **(تدخل ببطء)** رحلوا! **(تجلس وتنهمك فى القراءة)**

ســـونـــيـــا: **(تجلس إلى المكتب وتقلب دفتر الحسابات)** سنسجل يا خالى فانيا قبل كل شىء كشوف الحسابات. أمورنا مهملة جدا. اليوم أرسلوا ثانية يطلبون كشوف الحسابات. اكتب. اكتب أنت كشفا، وسأكتب أنا آخر..

فـوينيتســكى: **(يكتب)** «كشف حساب.. للسيد..»

(كلاهما يكتبان فى صمت)

مـــاريـــنـــا: **(تتثاءب)** أنا نعسانة..

أســـــتروف: يا للهدوء. الرياش تصر، صرَّار الليل يئز. الجو دافئ، مريح، لا أرغب فى الرحيل عن هنا.

(تسمع أجراس الخيول)

هاهم قد أحضروا العربة.. إذن لم يبق إلا أن أودعكم يا أصدقائى، أودع مكتبى، ثم أنطلق! **(يضع الخرائط فى الحافظة)**

مـــاريـــنـــا: وما الداعى للعجلة؟ ابق معنا.

أســـــتروف: لا يمكن.

فـوينيتســكى: **(يكتب)** «وبقى من الدين القديم روبلان وخمسة وسبعون..»

(يدخل العامل)

الـــعـــامـــل: ميخائيل لفوفتش، العربة جاهزة.

أســـــتروف: سمعت. **(يسلمه الصيدلية والحقيبة والحافظة)** خذ هذا. إياك أن تثنى الحافظة.

الـــعـــامـــل: حاضر.

أســـــتروف: حسنا.. **(يتجه إليهم للتوديع)**

ســـونـــيـــا: متى سنراك؟

أســـــتروف: ليس قبل الصيف، فيما أعتقد. فى الشتاء لا أظن.. بالطبع لو حدث شىء أخبرونى وسآتى **(يشد على يديها)** أشكركم على الخبز، والملح، والعطف.. باختصار، على كل شىء. **(يتجه إلى المربية ويقبل رأسها)** وداعا يا عجوزى.

مـــاريـــنـــا: أهكذا تسافر دون شاى؟

أســـــتروف: لا أريد يا دادة.

مـــاريـــنـــا: ربما تشرب فودكا؟

أســـــتروف: **(مترددا)** يمكن..

(مارينا تنصرف)

(بعد صمت) حصانى بدأ يعرج لسبب ما. بالأمس لاحظت ذلك عندما ساقه بتروشكا ليسقيه.

فـوينيتسـكى: ينبغى تغيير الحدوات.

أســـتروف: سأضطر أن أعرج على الحداد فى قرية روجد يستفينويه. لا مفر. **(يقترب من خريطة إفريقيا ويتأملها)** لا بد أن الحر الآن شديد فى إفريقيا هذه، شىء فظيع!

فـوينيتسـكى: نعم، فى الغالب.

مـاريـنـا: **(تعود حاملة صينية عليها قدح فودكا وقطعة خبز)** تفضل.

(أستروف يشرب الفودكا)

بالصحة يا ولدى. **(تنحنى بشدة)** ألا تمز بالخبز؟

أســـتروف: كلا، لا أريد.. ثم حظا سعيدا! **(لمارينا)** لا توصلينى يا دادة، لا داعى.

(ينصرف. سونيا تتبعه حاملة شمعة لتوصله، مارينا تجلس فى مقعدها)

فـوينيتسـكى: **(يكتب)** «الثانى من فبراير، زيت نباتى عشرون رطلا.. السادس عشر من فبراير، زيت نباتى مرة أخرى عشرون رطلا.. شعير..»

(صمت. تسمع أجراس العربة)

مـاريـنـا: رحـل.

(صمت)

ســـونـــيـــا: **(تعود، تضع الشمعة على الطاولة)** رحل..

فـوينيتســكى: **(يحسب على العداد ويسجل)** الجملة.. خمسة عشر.. خمسة وعشرون..

(سونيا تجلس وتكتب)

مـــاريـــنـــا: **(تتثاءب)** آه، استغفر الله..

(تيليجين يدخل على أطراف أصابعه، يجلس قرب الباب ويضبط الجيتار بصوت خافت)

فـوينيتســكى: **(لسونيا وهو يمسد شعرها)** كم أعانى يا بنيتى! آه لو تدرين كم أعانى!

ســـونـــيـــا: ما العمل، علينا أن نعيش!

(صمت)

سوف نعيش يا خالى فانيا. سنعيش عددا عديدا من الأيام والأمسيات الطويلة. وسنتحمل بصبر تلك المحن التى ستبلونا بها الأقدار. سوف نكدح للآخرين الآن، وفى شيخوختنا، دون أن نذوق طعم الراحة، وعندما يدنو أجلنا سنموت مذعنين، وهناك، خلف التابوت، سنقول إننا عانينا، إننا بكينا، إننا قاسينا المرارة، وسيشفق الله علينا، وسنرى يا خالى، يا خالى العزيز، حياة مشرقة، رائعة، جميلة، وسنفرح، وننظر إلى بؤسنا الحالى بتأثر وابتسامة، ونرتاح. إننى أومن يا خالى، أومن بحرارة وقوة.. **(تجثو أمامه على ركبتيها وتضع رأسها على يديه. تقول بصوت مرهق)** سنرتاح!

(تيليجين يعزف على الجيتار بصوت خافت)

سنرتاح! سنسمع ترانيم الملائكة، وسنرى السماء. مرصعة بالماس، سنرى كيف تغرق كل شرور الدنيا، كل آلامنا فى بحر الرحمة، الذى سيغمر العالم كله، وستصبح حياتنا هادئة، رقيقة، عذبة كالحنان. أنا أومن، أومن.. **(تمسح له دموعه بالمنديل)** ياخالى فانيا المسكين، أنت تبكى.. **(من خلال الدموع)** أنت لم تعرف الفرح فى حياتك، لكن مهلا، مهلا يا خالى فانيا.. سوف نرتاح **(تعانقه)** سنرتاح!

(الحارس يدق)

(تيليجين يدندن بصوت خافت: ماريا فاسيليفنا تدون ملاحظاتها على هامش الكتيب، مارينا تحوك الجورب)

سوف نرتاح!

(الستار يهبط ببطء)